إحسان عبدالقدوس

مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠


أخبار اليوم
قطاع الثقافة
إحسان عبد القدوس
زوجة أحمد

الاخراج الفنى :

أحمد السعيد

الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمى

إهداء

إلى السيدة آمال طليمات
أختي..
بقدر ما أحببتها..
وبقدر ما احتملت من حيرتي..
وبقدر ما لجأت إليها..
وبقدر ما فرحت بها ولها..

إحسان عبدالقدوس

توطئة

كثير من الناس يقولون لى: لو كان لك ابنة لما كتبت هذه القصص التى تكتبها، ولما اعتنقت هذه الآراء الجريئة التى تدعو إليها..

وهم مخطئون

إن الكاتب عندما يكوّن رأيه، إنما يكوّنه نتيجة نظرته إلى المجتمع كله، لا نظرته إلى نفسه، ولا إلى عائلته.. ورغم هذا ففى عائلتى بنات كثيرات.. كلهن قرأن قصصى، وأتمنى لو كل واحدة منهن سمعت كلامى..

وهذا الخطاب.. أهديه إلى صغيرتى فاطمة الجندى ابنة اختى، وإلى كل بنات الناس.. لعلى أراهن جميعا سعيدات.

إحسان عبد القدوس

مقدمة

هذه مجموعة من الآراء الاجتماعية - أو على الأصح - آراء في حياتنا الخاصة وحياتنا اليومية، كتبتها في أسلوب قصصي على لسان «زوجة أحمد»..

وعندما نشرت هذه الآراء لأول مرة، أثارت الكثير من الاعتراضات.. ولم افاجأ بهذه الاعتراضات..

كنت أنتظرها..

ومن المستحيل أن يكون هناك رأى واحد يعبر عن المجتمع العربي كله.. فالمجتمع العربي ليس كيانا واحدا تحكمه تقاليد واحدة، وعقلية واحدة وتسوده درجة واحدة من التطور..

المجتمع العربي في المملكة العربية السعودية، غير المجتمع العربي في لبنان، وغير المجتمع العربي في السودان.. و.. و..

بل إن المجتمع في البلد الواحد ليس مجتمعا واحدا.. فمجتمع الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة يختلف عن مجتمع الإقليم الجنوبي.. ومجتمع الوجه البحري من مصر يختلف عن مجتمع الصعيد.. ومجتمع حي «السيدة زينب» في القاهرة يختلف عن مجتمع حي «الزمالك».. وهكذا..

وأنا لا أقصد «المجتمع» العربي من ناحية وحدته القومية،

ولكن أقصد المجتمع من ناحية التقاليد التى تسوده، ودرجة التطور التى يمر بها..

وتقاليد أى مجتمع تقوم على عدة عوامل، منها:

الدين .

مستوى المعيشة..

مستوى الثقافة..

البيئة..

تاريخ الجماعة..

الانتماء إلى الأغلبية أو إلى الأقلية..

وعوامل أخرى كثيرة..

ومع اختلاف هذه العوامل تتكون الطبقات.. الطبقة الغنية، والطبقة المتوسطة، والطبقة الفقيرة.. ويصبح لكل طبقة من هذه الطبقات تقاليد خاصة بها، ومشاكل خاصة، ودراسات خاصة..

وبتأثير بعض هذه العوامل تختلف أيضا تقاليد العائلات والأفراد داخل الطبقة الواحدة.. وكثيرا ما نرى عائلتين متجاورتين يقيمان فى عمارة واحدة، ويعيشان فى مستوى اقتصادى واحد ورغم هذا تختلف التقاليد بينهما.. إحدى العائلتين تسمح لبناتها بالعمل، والعائلة الاخرى تمنع بناتها من العمل.. وقد يكون هذا الاختلاف راجعا إلى اختلاف الدين، أو اختلاف درجة الثقافة.. أو إلى اى عامل آخر من العوامل الكثيرة التى تحكم المجتمع.

وتبعا لهذا الخلاف الكبير بين المجتمعات المتعددة، تختلف

المشاكل، وتختلف الآراء.

بل قد تكون هناك مشكلة تعتبر مشكلة رئيسية فى حياة مجتمع معين، فى حين أن ليس لها وجود إطلاقا فى مجتمع آخر، رغم أا المجتمعين عربيان، وقد ينتميان إلى بلد واحد.. تعدد الزوجات مثلا، ليس مشكلة فى اليمن، أو لدى بعض القبائل فى السعودية.. فى حين أنه مشكلة كبيرة فى مجتمع القاهرة تثير اهتمام الفقهاء والباحثين.

كذلك الرقص الافرنجى، أو «المايوه» ليس مشكلة فى بعض المجتمعات، فى حين أنه مشكلة فى مجتمعات أخرى. وقس على ذلك العلاقة الاجتماعية بين الزوجين، وبين الآباء، الاولاد، وكل مظاهر الحياة.

ورغم هذا فهناك أسس عميقة تجمع بين هذه المجتمعات.. الأسس التى تقوم على المبادىء الإنسانية، ومبادىء الأخلاق.. كما ان هناك عاملا مشتركا فى جميع تصرفات الافراد، وهو «الذكاء» فالزوجة التى تحاول أن تقنع زوجها بأن يسمح لها بأن تطل من الشباك، تحتاج إلى نفس الذكاء الذى تحتاجه زوجة تحاول ان تقنع زوجها بأن يسمح لها بارتداء «المايوه» على شاطىء البحر.. وقد اهتممت كثيرا فى الآراء التى يحملها هذا الكتاب، بإبراز عنصر «الذكاء»..

وكل ما أرجوه عندما يناقش القراء هذا الكتاب، أن يناقشوه على أساس المجتمع والطبقة التى عنيتها بآرائى، وهى - بلا تحديد - الطبقة المتوسطة المثقفة التى تعيش فى المدينة الكبيرة، وتجتاز فترة من الحيرة الشديدة أمام مشاكل

مقـــدمة

التطور التى تهب عليها.

★ ★ ★

وبعد..

إننا نتطور..

وكلما تطورنا ثقافيا واقتصاديا.. تقاربت الطبقات فى مجتمع البلد الواحد بعضها من بعض.. ثم.. كلما ازددنا تطورا تقاربت المجتمعات العربية فى البلاد المختلفة بعضها من بعض، إلى أن تتكون تقاليد المجتمع العربى الواحد.

إحسان عبد القدوس



يعتقد الناس أني وزوجي أحمد أسعد زوجين في مصر..

والسعادة التي تبدو في حياتي الزوجية، والتي يراها الناس، هي الثوب الخارجي.. ولكن الناس لا تعلم كيف حكت هذا الثوب، ولا تدري أن هذا الثوب قد «فتق» عدة مرات، ولا تدري كيف أحافظ عليه حتى أصونه من «البقع» وحتى يبدو دائما كأنه ثوب جديد نظيف.. ولا تدري أن تحت الثوب الخارجي قطعا أخرى من الثياب.. الكورسيه والسوتيان والكومبيزون والجيبون!

إن الناس ترى سعادتي، ولكنها لا ترى مدى ما ابذله من مجهود للاحتفاظ بها، ولا ترى الأسس التي أقمت عليها هذه

السعادة.

وفى خلال الخمسة عشر عاما التى مضت على زواجى، تعرض بيتى لكل المشاكل التى تتعرض لها البيوت الزوجية الاخرى.. تعرض لليأس وللدموع وللعناد وللكبرياء الكاذب.. ولكنى استطعت - والحمد لله - أن أتغلب على كل ذلك، وأن أصون بيتى وأصون سعادتى.

كيف؟!

أعتقد أنه يجب أن أروى القصة من أولها، فلن تعرفونى ولن تعرفوا سر سعادتى، إلا اذا عرفتم كيف تزوجت.

تزوجت عن حب..

كان زوجى احمد صديقا طارئا لبعض شباب عائلتنا.. التقيت به صدفة فى بيت أختى الكبيرة، وقد جاء بصحبة شقيق زوجها..

وربما أحببته من أول نظرة.. ولكنى لم أومن بهذا الحب، ولم استشعره إلا بعد أن تركته يبذل مجهودا كبيرا لإقناعى به.

وعيب فتياتنا انهن بمجرد أن يخيل للواحدة منهن أنها أحبت تندفع وراء حبها فى تهور وتبدأ فى فتح جميع الأبواب لحبيبها.. وقد أردت أن أتغلب فى شخصى على هذا العيب.. كنت أعلم أن هناك فرقا كبيرا بين الحب ومجرد «الاستلطاف» وكنت أريد أن أتأكد من أنى أحب احمد فعلا قبل أن اكتشف فى النهاية أنه لم يكن بينى وبينه سوى مجرد استلطاف.. كما أنى كنت مصممة على ألا أفتح له بابا إلا إذا فتحه بنفسه.. لم أحاول أن أتصل به بالتليفون، بل تركته يحاول.. وتركته يعانى

صوت أمى، وصوت ابى، وصوت الخدم جميعا، وفى المرات القليلة التى تصادف أن رددت فيها على التليفون بنفسى، كنت أحادثه بتحفظ كبير حتى يشعر بالخجل من نفسه، ويجبن على أن يعلننى بشىء من عواطفه.

وتركته يحاول ان يوطد صداقته بأقاربى وبزوج أختى ويتحايل ليحضر كل مناسبة تضمنى.

وكنت فى هذه المناسبات أحاول ان أعرفه أكثر.. لم أكن ابدو أمامه باردة أو غير عابئة، بل كنت أعطيه من اهتمامى ما لا أعطيه لغيره.. كنت اتحدث إليه طويلا حتى لو أثار إقبالى على الحديث إليه تعليق بعض من حولنا، وحتى لو شعرت بالعيون ترمقنى بهذه النظرات الخبيثة التى تحمل اللوم والاتهام والسخرية.

ومضت ستة أشهر قبل أن أعرف أحمد على حقيقته، وقبل ان أتأكد من انى أحبه، وانه يحبنى.. وبعدها سمحت له أن يحادثنى فى التليفون وسمحت لنفسى أن أحادثه فى التليفون.

وصممت على أن أتزوجه..

ولكن احمد حتى هذه المرحلة لم يكن يفكر فى الزواج، ولم يبد فى أحاديثه ما يبشر بالزواج.

لماذا؟

سألت نفسى كثيرا لماذا لم يفكر احمد فى الزواج بى حتى اليوم، ولماذا لا يريد ان يحمل حبه لى على محمل الجد.

واكتشفت فى احمد ثلاث خصائص، ربما كانت خصائص مشتركة فى كل الرجال:

كان مغرورا.. يريد أن يشعر دائما أنه أقوى من «الزواج» وأن الفتيات تحبه لوجه الله.

وكان غير مستقر.. كانت حياته مبعثرة.. أول الشهر غير آخر الشهر.. ونهاره غير ليله، ويقيم أحيانا فى بيت والده وأحيانا فى بنسيون وأحيانا فى القاهرة وأحيانا فى الإسكندرية.

وكان غير مسئول ولا يريد أن يحمل مسئولية.. كان قد تخرج منذ عام واحد فى كليه الحقوق، والتحق بمكتب أحد المحامين تحت التمرين، وكان فى الوقت نفسه يهتم بأعمال بعض شركات التأمين . وكان يقوم بأعماله هذه بلا نظام، وبلا ترتيب.. كان يضحى بكل شىء إذا وجد سهرة ممتعة أو صديقا يصاحبه، وكان يصرف كل ما فى يده، ولا يتحمس لعمل إلا إذا لم يجد فى يده شيئا.

كانت هذه هى خصائص أحمد التى اعتقدت أنها تحول دونه والتفكير فى الزواج.

وبدأت أعالج هذه الخصائص..

كيف؟

بدأت أولا أشبع غروره.. بدأت أحاول أن أكون أنا وحدى التى تملأ هذا الغرور.. فتعمدت أن أكون دائما أجمل فتاة فى كل مكان يجمعنا.. وإذا لم يسعفنى جمالى فإنى أتعمد أن أثيرحولى اهتمام الناس.. اهتمام أختى وزوجها وأصدقائها، حتى يشعر أن الفتاة التى يحبها فتاة مهمة.. ثم بدأت أرضى هذا الغرور بمختلف العواطف التى أسلطها عليه.. كنت أبدو أحيانا ضعيفة فى حبى إلى حد البكاء، وأحيانا قوية إلى حد

أن يعتقد أني قلعة حصينة لن يصل إليها .. وأحيانا أدعه يغار عليّ، وأحيانا أخرى أدعه يثق بنفسه إلى حد التهور.. و.. لم أترك عاطفة هادئة أو ثائرة إلا سلطتها عليه.

وكان عليّ لأضمن أن ليس هناك غيري يحاول أن يشبع غرور أحمد، أن أتأكد من أن كل وقته لي.. أن لم يكن معي فهو يفكر في.. فحرصت على ان اعلم دائما بمكانه في أي لحظة من لحظات ليله أو نهاره.. أين هو ومع من.. ولم تكن أمامي وسيلة أربطه بها إلا بالتليفون.

وعندما ربطته بالتليفون بدأ أحمد يستقر.. كان يحادثني في التليفون في الساعة الثامنة والنصف صباحا قبل أن يذهب إلى المحكمة، فإن رد عليه ابي او أمي، تحايلت عليهما واتصلت به أنا.. ثم كان يحادثني عندما يذهب إلى مكتبه وقبل أن يغادر مكتبه.. وأحيانا قبل أن ينام.

وتعود على أحاديثي التليفونية، فأجبره هذا التعود على ان ينظم وقته وتنقلاته، وأن يستقر داخل روتين يومي منظم يسير كالساعة.

وبعد هذا يأتي إحساسه بالمسئولية.. وقد ساعده استقراره على ان يحمل مسئولية عمله، ثم بدأت أحمله مسئولية نفسي.. بدأت استأذنه كلما أردت الخروج حتى لو كنت خارجة مع أهلي، وبدأت استأذنه في اختيار صديقاتي وفي اختيار ثيابي وفي كل تصرفاتي، وكنت أخضع لرأيه بلا مناقشة أو بعد ان اناقشه مناقشة عابرة لاشعره بأني اضحي في سبيل الخضوع لرأيه.

وهكذا حملت أحمد مسئوليتي..

أصبح الشخص الوحيد المسئول عنى ـ معنويا ـ أكثر من مسئولية ابى وأمى!

وبدأ يفكر فى الزواج..

ولكن ماذا أخذ منى، وماذا أعطيته فى هذه المرحلة؟

أستطيع أن أقول.. لا شئ..

وأستطيع أن أقول أيضا، أنى تعذبت ـ ربما أكثر منه ـ وأنا احرمه من نفسى، وأحرم نفسى منه!

كان أحمد يلح كثيرا فى لقائى . لقاء يجمعنا نحن الاثنين وحدنا.. وكنت أرفض وأصر على ألا نلتقى إلى فى محيط أصدقاء أختى وزوجها، وكان احمد يثور ويتهمنى بأنى بخيلة، وأنى جبانة.. ثم كان يتهمنى بأنى لا أحبه ما دمت لا أرضى بلقائه.. ولكنى كنت اصمد امام هذه الاتهامات حتى عندما كان يهددنى باليأس منى.. و«رمى طوبتى»! ولكنه لم ييأس منى أبدا..

كنت أعلم انه يحبنى.. وكنت أعلم أيضا أن الحب أقوى من اليأس.. إن الحب أمل لا يموت.

وكنت أحرص على أن يرانى احمد كثيرا.. إن لم يكن فى بيت اختى، ففى بيوت أصدقاء اختى.

وعندما اذهب إلى السينما بصحبة ابى وامى كنت اطلب منه أن يذهب إلى نفس السينما لأراه ولو من بعيد، وأحيانا كنت أقطع له تذكرة السينما بنفسى، وأختار له مقعدا أستطيع أن أراه منه ويرانى، وأترك له التذكرة باسمه مع عامل الباب.

وقد قبّلنى احمد طوال هذه الفترة مرة واحدة، آسفة، مرتين!

القبلة الأولى كانت في شرفة بيت أختي.. كان هناك كثير من الاصدقاء يقضون السهرة، وتسللت أنا وأحمد إلى الشرفة لنتحدث فيما بيننا . واقترب مني أحمد. اقترب أكثر من اللازم.. وأحسست بنفسي أكاد انهار وأنا أشعر به يكاد يلامس جسدي.. فاستدرت لانفلت عائدة إلى الداخل.. وفي استدارتي لمس وجهي وجهه وأحسست بشفتيه فوق خدي.. وحاول أن يحتضنني بين ذراعيه، ولكني هربت سريعا . ودخلت وتركته وحيدا في الشرفة.

وقضيت الليلة كلها مبهورة الأنفاس..

ومرة ثانية كنا في الإسكندرية، دائما مع اختي وزوجها وشقيقه، ونزلنا نسبح معا في البحر حتى وصلنا إلى البراميل، وهناك قبلني مرة ثانية، ووجدت قدميه تصطدمان بقدمي، فهربت سريعا عائدة إلى الشاطىء، لم أكن اهرب منه، بل من نفسي، كنت أخاف ضعفي!

إن هاتين القبلتين لا تزالان ذكرى حلوة عزيزة لدينا ـ أحمد وأنا ـ كثيرا ما نستعيدها في ليالينا.

ولم يكن احد يعرف بحبي إلا شقيقتي، كانت تعرف كل أسراري وكل ما يدور في رأسي، وكانت تساعدني كثيرا على عواطفي، وكانت تتعمد دعوة أحمد والترحيب به في كل مناسبة، وكانت دائما واثقة بي، واثقة بإرادتي وعقلي وكرامتي.

أما أبي وأمي فلم يعلما شيئا، وكان من المستحيل أن أقول لهما شيئا، فهما الاثنان محافظان متزمتان، وربما كانت أمي استنتجت شيئا، ربما لمحت بعض الحيل الصغيرة التي كنت ألجأ إليها لاستولي على التليفون كلما اردت أن أحادث أحمد،

وكلما انتظرت منه أن يحادثني، ولكنها لم تفاتحني في مثل هذه المواضيع.. ولم يكن من عادتها أن تفاتحني في مثلها.

وبعد فترة أخرى بدأ زوج شقيقتي يعلم، كان يشك، ثم بدأ يتأكد، وكعادة أزواج الشقيقات، ثار بينه وبين نفسه وبدأ يلمح لأختي إلى ما يمكن أن يكون بيني وبين أحمد من علاقة، ثم بدأ يعامل أحمد بفتور وبرود ويهمل دعوته.

وشعر أحمد بنفور وبرود زوج أختي، وجعلته يشعر به أكثر، وأخبرته أنه - أي زوج شقيقتي - بدأ يلمح لزوجته عن حبنا..

كنت أريد أن أحرج أحمد.

وقد أحرج فعلا..

وعندما وجد أن الحلقة بدأت تضيق وتفصل بيني وبينه، وأن فرص لقائنا بدأت تقل، فاتحني - وكنا على شاطىء الإسكندرية أيضا - في الزواج.

وكدت أرتمي بين أحضانه فرحة به، ولكني تمالكت ووضعت يدي في يده وضغطت عليها كأني أسلمه قلبي.. وكلي، بينما الفرحة ترتعش فوق وجنتي، حتى لم أستطع أن أخفيها عليه.

وقلت في صوت خافت:

أظن لازم نكلم أختي الأول..

قال، وكأنه ثار:

أكلمها أقول لها إيه؟.. أقولها إني مفلس، ولا معييش حاجة، وعايز أتجوز أختك؟

وقد كانت مشكلة فعلا، فإن حالة أحمد المالية كانت أقل من

مستوى أزواج شقيقاتي كلهن، وهو ليس موظفا، ليس له دخل ثابت وليس له إيراد كبير من عائلته، وليس مستقرا.

كانت مشكلة..

ولكني - كما قلت - كنت مصممة على أن أتزوجه، وكنت مستعدة أن أصل في عنادي إلى أقصى الحدود، إلى حد الهرب معه، أو الانتحار؟

واتفقت مع أحمد على ألا يتقدم رسميا لخطبتي إلا بعد أن أمهد له الطريق.

كيف مهدت له الطريق؟

ذهبت لأختي وقلت لها إن أحمد يريد أن يتقدم لخطبتي.

وفرحت أختي، كانت تعلم مدى حبي لأحمد، وكانت هي نفسها قد تزوجت بلا حب.. رجلا كريما محترما ناجحا ولكنها لم تحبه قبل الزواج، وقد عاشت معه سعيدة، ولكنها سعادة باردة متحفظة تخضع للتقاليد والأخلاق أكثر مما تخضع للعاطفة.

وذهبت أختي وعرضت الموضوع كله على أمي.. واستقبلت أمي النبأ ببرود، وربما قررت بينها وبين نفسها أن ترفض هذا «العريس» فلم يكن أحمد زوجا يمكن أن تفخر به أمي أو تتباهى به أمام الناس، لا لشيء إلا لأنه فقير.

وبعد يومين جاءت لتلقي في وجهي قنبلة.

لقد رفض أبي زواجي من أحمد

ولأول مرة أواجه أمي بالحقيقة وأعلنها أني أريد أن أتزوج أحمد، وقالت أمي في هدوء يخفي توتر أعصابها:

انتى بينك وبينه حاجة يا بنتى!

قلت فى جرأة دون أن أدعى الحياء:

ما فيش بينى وبينه حاجة إنما باحبه!

وكأنما البيت كله اهتز، فقد انقضت بعد ذلك أسابيع وكل شىء فى حياتنا مضطرب، بدأأبى فخاصمنى واعتبرنى قد خرجت عن طاعته، وبدأت أمى تبكى أمامى أو تتظاهر بالبكاء، أما أنا فقد حبست نفسى أياما فى حجرتى، وامتنعت عن تناول الطعام إلا ما كانت تهربه لى خادمتنا، و.. ومنعوا عنى التليفون!

ومر كل ذلك وأنا لازلت مصممة على موقفى، أهدد يوما بالانتحار، واهدد يوما بالهرب، وأدعى كل يوم المرض.

وتولت اختى العبء الأكبر، فاستطاعت ان تقنع زوجها بأن يتدخل ليقنع أبى، وكان لزوجها منزلة كبيرة محترمة عند ابى فاستطاع أن يقنعه

ولم يتول زوج أختى مهمة إقناع أبى إلا ـ كما قال ـ بعد أن تأكد من خلق أحمد، ومن أنه شاب نبيه ذكى ينتظره مستقبل!

ولست فى حاجة إلى أن أطيل فى سرد تفاصيل هذه الأيام، المهم أنى لم أتزحزح عن موقفى، لم أضعف ولم أغير رأيى، وكانت قوتى كلها أستمدها من حبى لأحمد.

وجاء أحمد بصحبة زوج أختى وقابل أبى.

وأعلنت الخطبة.

ولبسنا الدبل فى حفل صغير.

وانطلقت الزغاريد.

وتم كل ذلك وأبى ليس راضيا تماما، كان ينظر إلى كأنى مريضة أستعصى علاجها، وكانت أمى تحاول أن تقنع نفسها بالفرح، ولكنها لم تكن فرحة تماما.

أما أنا فقد خيل إلىّ أنى ملكت الدنيا كلها، وأنى لن أشبع أبدا من أحمد، من أحاديثه ومن ضحكاته ومن مفاجآته الحلوة التى كان يفاجئنى بها، ومن قبلاته!

وقامت مشكلة المهر.

كان كل ما يمتلكه أحمد مائة جنيه، وهو مبلغ صغير بالنسبة للمهور التى دفعها أزواج شقيقاتى، وأبدى أحمد استعداده لان يقترض مائتى جنيه من أصدقائه. ويتقدم لأبى بمهر قدره ثلثمائة.

ولكنى رفضت.. وصممت على ألا يقترض أحمد شيئا.. فقد كنت أعلم أن هذا القرض سيربك حياتى بعد الزواج، وأنى أنا التى سأتولى تسديده من مصروف البيت.

إن العريس عندما يقترض ليدفع المهر يلقى على الحياة الزوجية عبئا ثقيلا كان يمكن التحرر منه.

ولم يكن ابى من النوع الذى يدقق كثيرا فى موضوع المهر، بل كان يعتبر مجرد المجادلة فى هذا الموضوع إهانة.. ورغم ذلك فقد كتب فى وثيقة الزواج أن قيمة مقدم الصداق خمسمائة جنيه قبضها كلها.. لا لشىء إلا ليرضى امى التى كانت تصر على التظاهر امام الناس بأن مهرى لا يقل عن مهر شقيقاتى.

وجاءت الشبكة، سوار انيق لا يزيد ثمنه عن ستين جنيها.

وكانت أمى قد اشترت لكل بنت فص سوليتير ماسيا، تهديه

لها يوم زواجها.. وقد حاولت أن تدعى أمام الناس بأن هذا «الفص» هو الشبكة التى قدمها لى أحمد.. ولكنى رفضت هذا الادعاء، وتعمدت أن أعرض السوار أمام كل صديقاتى وأعلنهم بأنه شبكتى!

إن هذا السوار لا يزال إلى اليوم أعز ما أتحلى به.

وبدأت مشكلة «الجهاز» ومشكلة البحث عن البيت الذى أتزوج فيه.. وكانت أختى تقيم فى فيلا انيقة بمصر الجديدة، وأختى الثانية تقيم فى شقة فاخرة بالزمالك، وكنا نحن نقيم فى بيت كبير بالعباسية الشرقية.. وبدأت أمى وشقيقاتى يتحدثن عن شقق يستأجرنها لى فى مصر الجديدة أو فى الزمالك أو فى المعادى، أو على الأقل فى الدقى.

وبدأ النقاش يدورحول تأثيث خمس غرف أو على الأقل أربعة.

ولكنى رفضت كل ذلك.

لم أكن أحاول تقليد شقيقاتى فى مظهرهن، ولم أكن افكر فى مركز عائلتنا، ولم أكن أحسب حسابا لكلام الناس.. كان كل ماأفكر فيه وأحسب حسابه هو قدرة أحمد المالية وقيمة دخله.

وعندما عرفت كم يكسب أحمد فى الشهر والحد الأدنى لهذا الكسب، عرفت انى لا أستطيع أن أعيش معه فى شقة مكونة من خمس غرف.

كان متوسط دخل أحمد لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها فى الشهر، وقد ينخفض قليلا أو يزيد قليلا.. وفى حدود هذا

المبلغ لم أكن أستطيع أن ادفع ايجارا لشقة أكثر من اربعة جنيهات.. أو خمسة جنيهات على الأكثر.. ثم انى لم اكن أستطيع أن أستأجر طباخا وسفرجى وخادمة.. كنت أعلم أنى سأتولى شغل البيت كله بنفسى.. أطبخ وأكنس بيدى، فلو عشت فى شقة مكونة من خمس غرف فأنى سأتحمل عبئا كبيرا فى تنظيفها والأشراف عليها.. وتركت أمى وشقيقاتى يبحثن كما شئن عن شقق فاخرة.

واتفقت مع أحمد على أن نبحث وحدنا عن شقة صغيرة ورخيصة.. وبنت ناس!

وكانت الحرب قائمة والشقق نادرة، ولكن بعد أسابيع استطاع أحمد أن يتفق مع أحد أصدقائه على أن يتنازل له عن شقته بلا مقابل وهى شقة صغيرة.. صغير جدا.. مكونة من حجرتين فقط والمطبخ والحمام.. وإيجارها ثلاثة جنيهات ونصف.. وموقعها فى حى عابدين قريبا من ميدان الازهار.

وكل ما حرصت عليه وأنا اتفرج على هذه الشقة، أن اتأكد من أنها صحية، وانها نظيفة، وان جيرانها ناس شرفاء.. وقد تأكدت من كل ذلك، ثم اكتشفت فيها ميزة اخرى وهى قربها من مكتب أحمد ومن «البلد» مما يوفر علينا مصاريف الانتقال.

ورضيت بهذه الشقة.

واستأجرها أحمد

ولم تكن عائلتى قد علمت بخبرها بعد.. فبدأت امهد لإلقاء القنبلة.. وعندما ألقيتها انفجرت أمى باكية وقالت: إنها لم تكن تنتظر أن تعيش إلى أن ترى ابنتها تقيم فى عشة فراخ.

وامتعضت شقيقاتي، وعاد ابى يخاصمني . ولكني صممت على رأيي . وقلت لهم بصراحة أن أحمد ليس غبيا، وأني لا أستطيع أن أكلفه أكثر مما يطيق وإلا ارتبكت حالتنا .

وهنا قال أبى إنه قرر ان يخصص لى عشرين جنيها فى الشهر ليعينني فى حياتي الزوجية، ولم أرفض المبلغ.. إنما رفضت أن آخذه.. وطلبت من والدى ان يضع لى فى البنك هذه العشرين جنيها كل شهر، ولكني لن أمد يدى إليها، إلا إذا حدث مكروه وسأحاول أن أعيش فى حدود دخل أحمد.

ويبدو أن ابى قد اعجب بعنادى وتفكيرى، فوعد بأن يضع لى هذه العشرين جنيها فى البنك كل شهر.

وبدأت أؤثث الشقة الجديدة.. وطبعا اعدت دهانها، ثم انتقيت اثاثها من «الكتالوجات» قطعة قطعة، حتى تتناسب مع ضيق المكان، وتضفى الجو الأنيق الذى أحبه.

ولم يكلفنى الاثاث كثيرا.. ولكني افرطت فى شراء «اللينو» والثياب.. صرفت كل ما اخذته من ابى فى شراء قمصان نوم وثياب داخلية وعطور... الخ

كنت أعلم أن أحمد يتزوجني أنا، لا الشقة، فصرفت على نفسي أكثر مما صرفت على الشقة!

ولكن هل كنت افعل ذلك لو لم أكن أحب أحمد؟

أنى أذكر أيام تزوجت شقيقاتي.. وكل منهن تغالى فى طلباتها، وتشترى اطقم الاوبيسون والذهب جاهزة.. وتصمم على أن «تدخل» فى شقة كبيرة.. وأن تقدم لها شبكة غالية.. ويقام لها فرح زايط.. الخ

إن كل هذه الاشياء تبدو تافهة فى نظرى.

لا لشىء . إلا لأنى أحب أحمد . وقد استغنيت بحبه عن كل شىء.. لا أريد إلا أن أكون معه، كما يريدنى!

وتزوجت احمد

واحتفلنا بعقد القران والزفاف فى حفلة شاى أنيقة دعى إليها أفراد الاسرتين خاصة الاصدقاء.. لا موسيقى ولا عوالم ولا تعاليق . ولا زحام.. كانت فرحتى بأحمد تغنينى عن كل ذلك!

ولم تتكلف هذه الحفلة اكثر من ثلاثين جنيها، واشترى أحمد صوان الملبس وزجاجات الشربات كما تقضى التقاليد . ولم نشتر «علب ملبس» لنوزعها على المدعوين، وفضلت أن أوفر ثمنها، وأعطانى أبى مائة جنيه هدية.. قال عنها انها «بدل عوالم» أما شقيقاتى وصديقاتى فقد أهدتنى كل منهن هدية بعد أن اتفقت معهن عليها، وكانت كلها أشياء أحتاج إليها فى بيتى.

وخرجت أنا وأحمد بعد حفلة الشاى، وذهبنا إلى ميناهاوس، وكنت لا أزال بثوب العرس بعد ان رفعت الطرحة.. وهناك تناولنا العشاء ورقصنا.. لم أحس بالموسيقى.. ولا بالرقص.. ولا بالناس، ولكنى كنت أحس أنى بين ذراعى زوجى .

وفى منتصف الليل كنا فى بيتنا ..

وأصبحت لأحمد..

ولا استطيع أن أذكر هذه الأيام، إلا وأذكر ان شقيقتى الكبرى جاءت تزورنى بعد يومين من زواجى، ووجدتنى فى

الفراش مرتدية قميص نوم من الموسلين الطبيعي وفوقه روب ديشامبر من الكريب دشين الطبيعي، والقطعتين من أغلى واثمن قطع «اللينو» التى اشتريتها.. فثارت أختى ونصحتنى ألا ارتدى هذه الثياب إلا عندما أبدو بها أمام الزائرات، فهذه القطع الغالية يحتفظ بها للمظاهر وللتباهى أمام الناس.. وعارضتها وقلت لها أنى اشتريت كل ثيابى لابدو بها أمام زوجى وأنه لا يهمنى أن أبدو جميلة أمام الناس قدر ما يهمنى أن أبدو جميلة أمام أحمد.. وينفلق الناس.. ليقولوا أى شىء.. ولكن كل شىء أشتريته سأستعمله لأمتع به نفسى وزوجى!

كنت أعلم أنى تزوجت بمحض رغبتى، بل أنى تزوجت رغما عن عائلتى.. وكان معظم أفراد العائلة يقدرون الفشل لهذا الزواج، نظرا للظروف التى تحيط بزوجى، وكان أبى قد أقر زواجى إزاء عنادى وإصرارى دون أن يكون راضيا عنه.

كنت أعلم كل ذلك، وكنت أعلم أيضا أنى وحدى التى اتحمل مسئولية سعادتى الزوجية.. لا أستطيع أن ألوم أحدا إذا لم أسعد، أو إذا فشل زواجى.

وقررت أن أحمل هذه المسئولية كلها..

صممت على أن أصون سعادتى مهما كلفنى الأمر.

وكان أول قرار اتخذته بينى وبين نفسى، هو ألا أشكو لأحد، ألا أسمح لأحد بأن يتدخل بينى وبين زوجى، مهما كانت مكانته.. لا أمى. ولا أبى.. ولا شقيقاتى.. ولا أمه.. ولا أبوه.. ولا أشقاؤه.. ولا أصدقاؤه.

وهذا ما حدث.. وحتى اليوم - أى بعد مرور خمسة عشر عاما على زواجى - لم يسمع منى أهلى شكوى واحدة، ولم ير

الناس من حياتي الزوجية إلا ابتسامة لا تفتر.. وقد كافحت طويلا لأحتفظ بهذه الابتسامة.

كان الشهر الأول قد مر كالسكر المذاب.. كنت سعيدة، سعيدة.. غاية السعادة.. لم أكن أدرى بشيء مما في الدنيا ولم تكن هناك مشكلة بيني وبين زوجي.. بل لم يكن بيننا موضوع يمكن ان يؤدى إلى مشكلة.. كان كل ما في حياتي خلال هذا الشهر.. قبلات احمد.. وذراعاه.. وحبه وحنانه.. وفرحتي به وفرحته بي..

ومر هذا الشهر الجميل اللذيذ.

وابتداء من الشهر الثاني بدأت أكافح في سبيل سعادتي..

بدأ أحمد يتغير.. أصبح عصبيا أكثر مما عرفته، وبدأت تصرفاته تشذ عن المألوف.. كان يثور لاسباب تافهة.. وأصبحت مواعيده غير منتظمة.. كنت انتظره أحيانا حتى الساعة الرابعة بعد الظهر دون أن اتناول غدائي وأحيانا كان يعود بعد منتصف الليل ويتركني وحدى وليس معي أحد في الشقة فاذا سألته: اين كان؟ اجاب باجابات مبتسرة سريعة لا تفسر شيئا

ولم أقابل ثورات أحمد بثورات مثلها، ولم أقابل تصرفاته الشاذة بتصرفات اكثر شذوذا، انما تحملت في هدوء.

أخذت أسأل نفسي عن سر تغير احمد.. واستعنت بذكائي كله لأحلل نفسيته وابحث له عن الأعذار، والأسباب التي يمكن أن تغيره.

لم أحاول أن أتهمه في عواطفه نحوى، ولم افكر - حتى بيني وبين نفسي - في أن حبه لي قد فتر.. وأصابه برود.. كان

إيماني بصدق حبه، وإخلاصه لى، فوق مستوى الشك.. وكان هذا الإيمان هو حياتى، فان فقدته فقدت الحياة..

كان يجب أن أجد سببا لتغير أحمد..

ووجدت السبب..

إن أحمد لا يزال فى خطوته الأولى.. لا يزال يضع الاحجار الأولى فى بناء مستقبله.. والرجال فى هذه المرحلة يبذلون كثيرا، ويعانون كثيرا ويصدمون كثيرا.. إلى حد أن تنسيه المعركة - معركة الحياة - الكثير من واجباته نحو بيته، وتستولى على الكثير من حقوق بيته عليه.

إن أحمد يعانى فى سبيل مستقبله.. ويجب أن أعانى معه.

فمستقبله . هو مستقبلنا.. كل خطوة يخطوها، أخطوها معه . وكل قرش يضيفه إلى دخله نصرفه نحن الاثنين.. وكل نجاح يحرزه هو نجاح لزواجنا

وقررت أن أكون - فى هذه المرحلة من حياتنا - ممرضة لاحمد.. ممرضة نفسية.. واعتبرت أن ثوراته وتصرفاته الشاذة هى الجروح التى يعود بها إلىّ من ميدان المعركة.. ميدان العمل.. الجروح التى يجب أن أعالجها وأضمدها بحرص وعناية.. وذكاء!

وكان أكثر ما يعانيه أحمد فى هذه الأيام هو إحساسه بأنه لا يكسب من عمله ومن جهده ما يكفى ليجعلنى أعيش فى نفس المستوى الذى كنت أعيش فيه وأنا فى بيت أبى.. وفى مستوى كثير من أصدقائه المتزوجين.

وانقلب هذا الإحساس إلى الشعور بالنقص.. شعر بالنقص

حتى أمامى. ودفعه هذا الشعور إلى أن يقول لى يوما فى لهجة حازمة كأنه يتحدانى:

أسمعى.. أنا مش عايزك تصرفى فى البيت، ولا على نفسك مليم واحد من الفلوس اللى بتاخديها من ابوكى . لازم تعيشى على فلوسى أنا، واذا ما قدرتيش تعيشى بيها يبقى معناها اننا مش حانقدر نعيش مع بعض .

واجبته فى هدوء .

حاضر!

واستطرد أحمد:

وإذا كان أبوكى مصمم يديكى فلوس.. يبقى الفلوس تشيليها فى البنك.. ولا فى أى حته.. ما فيش مليم ينصرف فى البيت ده إلا من فلوسى أنا..

وقلت وأنا ابتسم كأنى أشعره بإعجابى به:

حاضر!

ولم أناقشه، ولم أحاول ساعتها أن أدرس معه تفاصيل حياتنا، ولكنى صبرت يومين، ثم قلت له فى ساعة هدوء وحب:

تعرف انى زعلانة منك.. ديك النهار وانت بتكلمنى قلت: إذا ما كنتش أقدر أعيش بفلوسك يبقى مش حانقدر نعيش مع بعض.. ما تقولش كده تانى يا أحمد.. احنا حنفضل عايشين مع بعض لغاية ما نموت.. وبعد ما نموت حاتوسطلك عند ربنا علشان يدخلك الجنة معايا.. مش عايزاك تقول كده تانى أبدا . ما تفكرش التفكير ده أبدا.. الكلمة دى مش عايزه اسمعها منك لغاية ما اموت.. فاهم!

وقال أحمد وكأنه خجل من نفسه:

حاضرا

ثم ضمني إلى صدره كأنه يحتمي بي من نفسه.

وقد كنت مخلصة عندما وعدت أحمد بألا أقرب مليما واحدا من نقود أبي.. كنت مخلصة فعلا.. وقررت أن أعيش وأصرف على البيت، من دخله الذي لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها في الشهر.

كيف استطعت ذلك؟

كانت المعاملة المالية بيني وبين زوجي أحمد - في أول زواجنا - يحوطها إحراج شديد.. فقد كنت أخجل من أن أطلب منه شيئا.. وكان هو من جانبه لا يدري كيف يحدد ميزانية البيت.

ولم أحاول أن أجبره على نظام معين لمعاملتنا المالية، بل لم احاول ان اعرف كم جنيها يكسب في الشهر.. إنما تركته يتصرف.. ويتخبط.. ويخطيء.. وبذلت كل جهدي في الشهور الأولى لأكسب ثقته كست بيت مدبرة!

وقد حاول أحمد أن يحتفظ بمصروف البيت في يده.. كان يتولى هو دفع أجرة الشقة، ومكافأة البواب، وثمن النور، وحساب المكوجي والبقال.. الخ.. ثم كان يعطيني جنيها لنفقات الطعام.. وقد استنتجت أنه قرر بينه وبين نفسه أن يكفيني هذا الجنيه لمدة يومين.. فحرصت على أن أصرف الجنيه في ثلاثة أيام، أو على الأقل في يومين ونصف.. وبذلك أصبح معي دائما «فائض مصروف» أو احتياطي صغير أدخره للملمات.

وكان أحمد قد خصص لنفسه «نوتة» صغيرة يقيد فيها إيراده ومصروفه، وكنت أراه ينزوى بهذه النوتة فى ركن بعيد ويأخذ فى تقييد أرقامه وعلى وجهه سحابة من الضيق والحيرة.. فلم تكن من طبيعة أحمد المحاسبة، ولم تكن عقليته تحتمل الارقام.. ورغم ذلك لم أحاول أن اتدخل فى شئونه ولم أحاول أن أعينه فى ارتباكه، إنما تركته حتى «يزهق» ويعترف بلخمته.

وقد «زهق» أحمد سريعا.. وبدأ يعطينى خمسة جنيهات كل دفعة.. بدلا من جنيه.. وترك لى أن أدفع حساب المكوجى والبقال وبائع الصحف.. ثم بعد قليل.. ترك لى أن أدفع أجرة الشقة ومكافأة البواب.. وشيئا فشيئا أصبح أحمد يعطينى كل ما يكسبه، وأخصص له أنا مصروفا لجيبه.

وكنت أضحى بأى شيء فى سبيل أن أحتفظ لأحمد بمصروف جيبه.. فهذا «المصروف» لا يتعلق بمتعة أحمد وحقه فى «البعزقة» ولكنه يتعلق باحترامه ومكانته بين أصدقائه، ويتعلق بشعوره بالكرامة كرجل.

وكل هذا التطور فى المعاملات المالية بينى وبين أحمد.. لم يتم إلا بعد أن وثق بى أحمد.. كست بيت مدبرة.

ومنذ بدأ أحمد يعتمد علىّ فى موازنة ميزانيتنا الصغيرة، أعددت دفترا للحساب، اقيد فيه كل قرش أخذه منه، وكل قرش أصرفه.. ثم أجمع واطرح كل مساء، وأجن إذا وجدت قرشا واحدا ضائعا لم اقيده.. ولا أنام حتى أتذكر أين صرفت هذا القرش!

وكنت أعرض هذا «الدفتر» كل مساء على أحمد، وأجلس

بجانبه وهو يراجع حسابى.ويطمئن إلى حسن تدبيرى.. ثم أتلقى منه قبلة كبيرة يهنئنى بها على نجاحى!.

وكان احمد فى اول الأمر يدقق فى مراجعة دفترى، ويهتم بكل رقم فيه.. ثم بدأ يراجعه مراجعة عامة.. ثم أصبح لا يراجعه.. ثم لم أعد أعرضه عليه.. وأصبحت وحدى المتحكمة فى كل ميزانيتنا..

وهكذا كل الازواج - على ما أعتقد - عندما تصونين حقوقهن، يتنازلون عنها، وعندما تهملين حقوقهم يطالبون بها.

وطبعا كنت أنا التى أتولى أعمال البيت بنفسى فى هذه المرحلة من حياتنا.. كنت اطبخ وأغسل وأكنس، وأنزل أحيانا إلى السوق لاشترى اللحمة والخضار.. ولم أكن استنكف من ان اقوم بأى عمل مهما كان شأنه.. فهو بيتى.. وهو زوجى.. وكل ما هناك هو أنى رفعت مكافأة البواب إلى اثنين جنيه فى الشهر.. ليساعدنى فى بعض الاعمال التى لا يتسع وقتى لاؤديها بنفسى.

ورغم ذلك كان أحمد سعيدا..

لم يشعر بأى شىء ينقصه..

ولم يشعر انه اقل من غيره فى حياته..

كيف حدث هذا؟

قلت إنى كنت أقوم بأعمال البيت كلها بنفسى.. كنت أكنس وأمسح وأطبخ وأغسل.. ولكنى لم اكن اسمح لزوجى بأن يرانى وأنا أقوم بكل هذه الأعمال. خصوصا عندما أكنس أو امسح أو اغسل.. كنت لا ابدأ إلا بعد أن يخرج، وفى الايام التى كان

لا يخرج فيها إلى عمله، كنت لا أفعل شيئا في البيت إنما اكتفى بإعادة ترتيب الفراش «وتنفيض» قطع الأثاث «تنفيضا» خفيفا.. وذلك لسببين:

السبب الأول.. إنى أحب أن اتفرغ لزوجى ما دام فى البيت.. انها متعة له ولى!

والسبب الثانى.. إنى أحب أن يرانى زوجى دائما ناعمة رقيقة رشيقة انيقة، فى قمة انوثتى.. ولا أحب أن يرانى وأنا أؤدى الحركات العنيفة التى يقتضيها الكنس والمسح.. ولا أريد أن يرى يدى التى يقبلها فى ساعات نجوانا وهى مغموسة فى الصابون والزهرة ساعة الغسيل.

وقد تخالفنى بنات الجيل الجديد فى هذه النظرية.. انهن فى تطلعهن إلى المساواة بالرجل يضحين بكل شىء حتى نعومتهن ومظاهر انوثتهن.. ويصممن أن يكن لازواجهن بمثابة صديقات لا إناث عاشقات، فلا يجدن غضاضة فى أن يراهن أزواجهن وهن «ملغمطات» الوجه «منعكشات» الشعر.. ما دام هذا هو واقعهن فى الساعة التى يقبل فيها الزوج.

أنا لا اؤمن بهذا الكلام.. وأنا لم اشعر يوما انى أقل من زوجى احتراما أو مكانة أو حقوقا فى البيت، وأنا أيضا من انصار المساواة بالرجل، ولكن هذه المساواة يجب أن تقف عند حد احتفاظى بانوثتى واحتفاظى بكل هذه الانوثة وكل رقتها. وعندما احتفظ بأنوثتى ورقتى فانما احتفظ لزوجى برجولته وبإحساسه بمسئوليته نحوى..

ونعود إلى أعمال البيت..

لقد واجهتنى مشكلة الطبخ.. ولم أكن طباخة ماهرة

بل إنى فى الواقع كنت أكره دخول المطبخ قبل زواجى، وكان وقوفى أمام وابور الجاز بمثابة وقوفى أمام باب جهنم.

ولكنى عشقت المطبخ بعد الزواج.

وقد استعنت أول الأمر - كبقية الزوجات - بكتاب السيدة نظيرة نقولا فى فن الطهو.. ولكنى وجدت أن معظم الأصناف الواردة فى الكتاب كلها أصناف معقدة وتكلف غاليا.. وأنا لا أحب التعقيد، وكما أن ميزانية البيت لا تحتمل كل هذه النفقات، فقد كنت قررت ألا تزيد نفقات الطعام عن عشرين قرشا فى اليوم - للغداء والعشاء - غير نفقات الخزين.

وتوصلت بعد تفكير وبعد عدة تجارب قاسية إلى نظرية لابد أنها نظرية قديمة معروفة.. هذه النظرية تقول: «ليس المهم هو صنف الطعام، ولكن المهم هو طريقة تقديمه».

وبدأت أخصص تسعة أعشار جهدى للاعتناء بطريقة تقديم الطعام، والعشر الباقى لطهو الطعام!

بدأت بالمطبخ نفسه.. فجعلته أنيقا نظيفا مريحا لا يقل عن أى غرفة أخرى فى المنزل أناقة ونظافة.. حتى يفتح نفسى للوقوف فيه.

وبدأت أهتم جدا بإعداد المائدة، فلم تكن تقل بحال عن أى مائدة فى أى قصر منيف.. الأطباق والشوك والسكاكين والملاعق، والمفرش الزاهى المكوى دائما.. والفوط التى اتفنن فى طريقة طيها.. بل إنى كنت أصمم على أن أضع أمام كل منا كوبين: كوبا للماء، وكوبا لعصير الطماطم.. وعندما كان يرتفع ثمن الطماطم كنت استعيض عنها بعصير الليمون، أو أى عصير.. وكنت أمر على بائع زهور فى حى عابدين كل صباح

واشترى وردة أو زهرة واحدة بنصف قرش، اضعها فى اهمال جميل فى منتصف المائدة.. ولم أكن أستقبل زوجى أبدا ساعة الغداء إلا فى ثوب كامل.. وإذا كانت هناك مشكلة بينى وبينه كنت اؤجل بحثها والكلام عنها إلى ما بعد الغداء.

واحس زوجى أنه لا يقل عن اصدقائه الأغنياء، وأن بيته لا يقل عن بيوت شقيقاتى.

ولكن ما هو الطعام الذى كنت اقدمه.

لقد قررت أن تكون جميع اصناف الطعام التى أعدها اصنافا بسيطة، سهلة، لا تلخمنى ولا تضيع وقتى.

وقررت ايضا ألا تزيد الاصناف التى اعدها للوجبة الواحدة عن صنفين.. وكانا غالبا: صنف من اللحم - وكنت أفضل اللحم المشوى - وبجانبه بعض الخضار المسلوق.. ثم طبق ارز، أو طبق مكرونة

وكنت أحسب «الشوربة» صنفا من الصنفين.. فاليوم الذى اعد فيه «شوربة» استغنى عن طبق الارز والمكرونة.. وبجانب هذين الصنفين أعد دائما كمية كبيرة من السلاطة الطازجة.. الخس، أو الخيار والقوطة، والجزر، والفجل الرومى.. الخ

ولاشك انه كان غذاء صحيا خفيفا، خصوصا ان احمد كان يعود الى مكتبه بعد الظهر، وكان يجب ان يعود نشيطا خفيفا غير مثقل بأبخرة الملوخية والشركسية.

واعترف أنى كنت مقترة فى إعداد الطعام.. كنت لا اشترى إلا ما يكفينا نحن الاثنين بالتمام بحيث لا يفيض منا شىء.. اللحم كنت اشتريه بعد أن أحسب حساب ما نحتاج إليه بدقة..

نصف رطل «مشفى» لنا نحن الاثنين. وكنت أجن إذا فاض منا شىء.. رغيف أو قطعة لحم أو طبق أرز.. ولم اكن أدرى كيف اتصرف فى هذه الفضلات، فانى لا أحب أن ابقى شيئا من الطعام المطهو لليوم التالى - حتى لو كانت «بامية» - وطبعا كنت أعطى هذه الفضلات للبواب، ولكنى كنت اعطيها له وأنا خجلة، كأنى كنت أجرح بها كرامته.. خصوصا انى عودته الا ينتظر منى فضلات الطعام، بل كنت اكافئه على خدماته بالنقود.

وهذا الاسلوب فى الحياة لا يسمى «بخلا» ولكنه يسمى «تدبيرا».. وصدقونى، ولا تسمعوا كلام الناس!

ورغم كل هذا التدبير، كانت تمر أيام «تخسع» فيها الميزانية واحس اننى لو واظبت على شراء اللحم والأصناف المعتادة.. فسأضطر أن أوفر ثمن تذاكر السينما. وأنا وأحمد نحب السينما بل إنى افضل ألا اتناول عشائى وأذهب إلى السينما..

فى هذه الايام كنت أشترى علبة سردين.. واربع بيضات.. واعد طبق السلاطة المعتادة. أى انى كنت الجأ إلى «التهييف» وكنت «اهيف» يومين فى الاسبوع!

ولكنى فى هذين اليومين كنت اعتنى أكثر وأكثر بطريقة تقديم الطعام.. كنت افتح علبة السردين، وأصفف شرائحه فى طبق كبير وأحيطها بأوراق الخس أو الجرجير فتبدو كأنها شرائح من «السومون» الغالى الذى يقدم لأصحاب الملايين.. وكنت أقطع البيض فى دوائر صغيرة أضع فوق كل دائرة منها «زيتونة».. و.. و.. إلى آخر أشكال التقديم التى كنت أرى صورها فى المجلات الأجنبية

ولكن أحمد كانت له فصول باردة.. كان يفاجئنى أحيانا

باصطحاب صديق من أصدقائه ودعوته إلى الغداء أو العشاء دون أن يخبرنى بذلك مقدما.. وعبثا حاولت أن أبطل هذه العادة فى أحمد، فقد كان كريما يحب أصدقاءه.. وكان من الصعب ان اسجنه فى حدود نظام معين.

فى هذه الاحوال كنت الجأ إلى الفول والطعمية ـ ودكان «أبوظريفة» كان يجاور بيتنا ـ وكنت أهتم بتقديمها فى شكل أنيق جدا وأشيع حولها جوا مرحا.. بحيث يقبل الضيف عليهما ـ على الفول والطعمية ـ كأنه يقبل على ديك رومى .

ولا أدرى لماذا تصر ستات البيوت، على أن الفول غذاء للافطار فقط.. إنه غذاء لكل وجبة.

وعلى هذا الأساس سرت فى تنظيم ميزانيتى.. ولكنى بعد أربعة أشهر فوجئت بمشكلة أخرى.. فرغم كل الاحتياطات المعتادة، شعرت أنى حامل.

لقد أكد لى الطبيب الخبر..

أنى حامل..

وكان شعورى الأول، هو شعور الفرح . ولا أدرى لماذا فرحت، ربما لانى أحسست بأنى زوجة كاملة.. زوجة تستطيع أن تكون اما . لا تحرم زوجها من شىء.. ولأنى أحسست أيضا بأن أحمد زوج كامل.. يستطيع أن يكون أبا.. ولا يحرمنى من شىء!

وصاحب فرحتى شعور بالزهو.. وشعور آخر بإنى كبرت وعقلت وأصبحت أحمل مسئولية ضخمة وقد تضخم إحساسى بالمسئولية حتى بدأت تتلاشى فيه فرحتى.. ثم انقلبت الفرحة

إلى حيرة.

بدأت أولا أفكر في مستقبل المولود الذي سأرزق به.. المستقبل الذي يبدأ من يوم ولادته إلى يوم أن يصبح رجلا أو تصبح فتاة.. ثم بدأت أقدر إمكانياتي في تدبير هذا المستقبل وصيانته.. بدأت افكر فيه يوما.. يوما.. كأن السماء قد فتحت لي نوافذها لأرى منها الغيب.

فكرت.. فكرت كثيرا . وكلما تماديت في التفكير اقتربت من القرار الخطير الذي كان يجب على أن اتخذه.. ووصلت إلى القرار:

أنني لا أستطيع الآن أن أكون اما..

لا أستطيع.. فالبيت المكون من حجرتين لا يتسع لتربية طفل.. والميزانية لا تحتمل مصاريف تنشئته.. تنشئة كاملة صحيحة.. والأعباء المنزلية الملقاة على عاتقي لا تترك لي فراغا لأشرف على المولود كما يجب أن اشرف عليه، وسينتهي بي الأمر إلى أن اهمل في شئون بيتي أو أن اهمل في شئون طفلي وكلاهما مر.. ثم أن زوجي نفسه لم يستقر في عمله، ولا في مستقبله، بل لم يستقر في اخلاقه وتصرفاته.. فكيف اوفر للمولود حياة مستقرة اذا كان ابوه نفسه غير مستقر.. وقد سبق أن قلت في أول هذه الذكريات، اني اعتبرت زواجي تجربة يجب أن تنجح.. وأنا لا زلت في دور «التجربة» ولا يجب ان استقبل طفلي الأول إلا بعد ان أتأكد من نجاحها.

نعم..

يجب أن أجهض نفسي!

وعندما وصلت فى التفكير إلى هذا الحد شعرت برعدة.. شعرت كأنى أفكر فى ارتكاب جريمة.. وبكيت.. بكيت طويلا دون أن أدع زوجى يرى دمــــوعى.. ولكن البكاء لم يقنعنى بالابقاء على الجنين.. وكل يوم وكل ساعة كنت ازداد اقتناعا بما صممت عليه.. وكنت أقول لنفسى: إذا كانت جريمة فهى جريمة بيضاء.. جريمة سلبية أمنع بها جريمة أكبر وأبشع إذا تركت طفلى يولد فى دنيا غير مهيأة له، ولا يتوافر لى فيها الإمكانيات الكافية للاعتناء به، وتربيته، واعداده للمستقبل الذى أريده له.

ولم أستطع أن أخبر زوجى فى مبدأ الأمر بما قررته.. كنت أخاف أن أجرح إحساسه وأثير كرامته.

وأحاط بالبيت وجوم وذهول..

كان هو الآخر يبدو وكأن هناك شيئا وراء لسانه يريد ان يقوله ولكنه يخشى قوله..

كان هو الآخر قد وصل إلى نفس القرار الذى وصلت إليه، ولكنه كان يخاف غضبى وثورتى وخدش إحساسى.. وكان هناك شىء آخر..

فقد كان زوجى يخاف على حياتى من عملية الإجهاض.. وكنت أنا أيضا أخاف على حياتى من هذه العملية.. وكان الخوف يشتد بى أحيانا إلى حد أن أقرر العدول.. وشيئا فشيئا.. يوما بعد يوم.. ووسط هذه المشاعر العنيفة التى تجمع بين الحيرة، والشعور بالجرم، والخوف، والرهبة، والإحساس بالمسئولية.. بدانا - زوجى وأنا - نتصارح بما فى قلبينا.. إلى أن أصبح الموضوع صريحا بيننا.

واتفقنا على الاجهاض..

ومرت أيام عصيبة عنيفة إلى أن تم كل شيء..

كيف؟

بعد ان انتهينا الى قرار بالتخلص من الجنين الذى يتحرك فى أحشائى، انتهى دور زوجى. لم يعد يستطيع شيئا.. وكان على ان اتحمل مسئولية جميع الإجراءات وحدى وقد تحملتها فعلا وحدى، رغم الخوف الذى كان يعتمل فى نفسى.. الخوف على حياتى..

تحملتها وحدى لأنى كنت أعلم أن لا فائدة من إشراك زوجى.. فى هذه الإجراءات.. لم يكن يستطيع أن يشير علىّ بشيء.. ولو انى لجأت إليه لازداد خوفا علىّ، ربما إلى حد أن يعدل عن قراره..

وكنت أسمع عن كثير من الإجراءات التى تلجأ اليها بعض السيدات لإجهاض انفسهن.. أن أقف ـ مثلا ـ فوق الدولاب، واقفز على الأرض.. أو أدع الخادمة أو إحدى الصديقات تقف فوق ظهرى و«تتنطط» عليه.. كما كنت اسمع عن كثير من الوصفات البلدية، وعن بعض أنواع الحقن... و... الخ.

ولكنى لم الجأ إلى إحدى هذه الوسائل..

كنت أعتقد أن الالتجاء اليها بمثابة انتحار.

إنها خرافات.. خرافات تقتل!!

وقررت بينى وبين نفسى أن ألجأ الى طبيب اخصائى.. انها حياتى وصحتى وشبابى.. ولا يمكن أن اخاطر بحياتى بإلقاء نفسى من فوق دولاب الملابس، أو أخاطر بها تحت اقدام

خادمة.. غاية ما أستطيع أن اخاطر به.هو أن أضع حياتي بين يدى طبيب اخصائى..

وكنت قررت الا أخبر احدا من أفراد عائلتى او من صديقاتى بما انتويته.. كنت اريد أن احتفظ بكل شىء سرا بينى وبين نفسى.. كنت اخاف ان يتدخل الأهل والصديقات فيقنعونى أو يقنعون زوجى بالإبقاء على الجنين، خوفا على..

ولكنى عندما قررت أن أذهب إلى الطبيب، لم أستطع أن أذهب وحدى.. كان الخجل والخوف اقوى من أن يدعانى انفرد بهذه الخطوة واحترت لمن ألجأ. وأخيراً لجأت إلى أختى.. وثارت أختى لم تقتنع بكل أسبابى وحججى. وهددتنى بأن تفشى سرى وتبلغه إلى أبى وأمى.. ولكنى ألححت عليها.. توسلت وبكيت.. ثم هددت بأن ألجأ الى الوسائل البلدية.. الى أن رضيت أختى أخيراً إزاء عنادى - وخوفا على - أن تذهب معى إلى الطبيب.

ذهبنا أولا إلى طبيب العائلة، فرفض إجراء العملية.. وثار فى وجهى كما ثارت أختى، وحاول كثيرا إقناعى بالعدول عن رأيى..

وذهبنا بعد ذلك إلى ثلاثة أطباء نعرفهم.. ورفضوا جميعا.. وهم معذورون، فالقانون يحتم عليهم أن يرفضوا.. وأخيرا ذهبنا الى طبيب لا نعرفه، ولكننا سمعنا عنه.. طبيب كبير ماهر، رضى أن يقوم بإجراء العملية، ولكنه اشترط أن أحصل على شهادة من طبيب باطنى بأن صحتى لا تحتمل فترة الحمل وعملية الوضع، كما اشترط أن يوافق زوجى على إجراء العملية كتابة..

وهنا اضطررت أن ألجأ إلى زوجى.. فكتب خطابا يوافق فيه على إجراء العملية.. ثم أخذنى الى طبيب شاب من أصدقائه، فحصنى فحصا صوريا، ثم كتب شهادة بأن صحتى لا تحتمل فترة الحمل..

وعدت إلى الطبيب الكبير ومعى أختى..

وأجريت العملية.. لم تستغرق اكثر من عشر دقائق.. استرحت بعدها حوالى الساعتين فى عيادة الطبيب، ثم عدت الى بيتى مريضة.. ضعيفة.. منهكة..

وبقيت أختى معى ليلتها..

وبعد أسبوع كنت قد استرددت صحتى وعافيتى.. ولكن ظل فى نفسى شىء كالندم أو الحسرة.. شئ كان يدفعنى أحيانا إلى البكاء.. كأنى ابكى ابنى الذى فقدته.. هذا الشىء الذى لا يزال يتحرك فى نفسى أحيانا حتى اليوم ولازلت حتى اليوم اذكر جنينى الاول.. ولازلت أقول لزوجى كلما تذكرته «لو كنا تركناه.. لكان اليوم فى الخامسة عشرة من عمره..»!

نسيت أن أقول إن زوجى اقترض عشرين جنيها لندفعها اجرا للطبيب.. ولم يكن يعلم يومها ان الطبيب تناول خمسين جنيها.. وانى أخذت الباقى من رصيدى الخاص الذى كان يودعه لى والدى فى البنك..

إنها كذبة صغيرة اضطررت إليها حتى لا أجرح إحساسه.. وقد صارحته بها بعد ذلك بعامين!

لا أعتقد أن الحياة الزوجية يمكن أن تمر هادئة سعيدة كالحلم الجميل.. من المستحيل أن نأمل فى مثل هذه الحياة..

بل انى أعتقد أن السعادة لا تتحقق إلا من خلال «المنغصات»، وأن أحلى ابتسامة هى التى تعقب انهمار الدموع، وأن أجمل قبلة هى التى تقع فوق شفاه «مبوزة» فتفك «تبويزتها»!!

وقد قلت إن زوجى أحمد كان فى خلال السنوات الأولى من زواجنا.. السنوات التى كان يكافح فيها الحياة ليبنى مستقبله كان يتصرف تصرفات شاذة، وكان يفقد كثيرا أعصابه، وكنت أعالج هذه الحالات كما تعالج الممرضة الذكية نوبات المرض والألم التى تنتاب مريضها العزيز..

ولكنى وجدت نفسى فى إحدى المرات مضطرة إلى أن أفتعل «خناقة» وأن اسعى لإثارة زوجى حتى افقده أعصابه..

كان أحمد قد عاد من مكتبه فى المساء «وبوزه شبرين». كان يزفر وينفر، وكانت علامات الضيق واليأس تبدو واضحة على وجهه.. ولكنه لم يتكلم.. سألته: «مالك؟» فلم يرد.. وألححت فى السؤال فأجاب فى حدة «مالكيش دعوة.. سيبينى!»واضطررت أن أسكت..

وظل أحمد ساكتا..

وطال السكوت بيننا، وأحمد يزداد تجهما، ويزداد يأسا حتى خيل إلى أنه يريد أن يبكى.. كنت أحس أنه يتألم ويتعذب عذابا كبيرا، وكنت أبحث عن وسيلة أخفف بها ألمه وعذابه، فلم أجد وسيلة إلا أن أدفعه إلى الانفجار..

نعم. كنت أريد لأحمد أن يثور.. أن تنتابه نوبة أشبه بالجنون، لعله بعد ذلك يفرج عما فى نفسه.. ويطلق أبخرة الألم والعذاب التى تزدحم فى صدره..

وبدأت أغيظه..

أخذت أغنى أغنية أعرف أنه يكرهها، وكنت اغنيها بصوت مائع فيه دلال مفتعل لا يحتمله أحمد..

وقال أحمد فى هدوء:

- من فضلك أسكتى!

قلت فى تحد:

- عجيبة.. كمان الغناء حرام..

واستطردت أغنى.. فصرخ أحمد فى وجهى:

- باقولك اسكتى.. مش عايز أسمع صوتك..

وهززت كتفى، وسكت عن الغناء.. وانتظرت أن يثور أحمد بعد ذلك.. أن يفعل أى شىء.. أن يشتمنى.. أن يضربنى.. أى شىء يفجره ويخفف عنه.. ولكنه عاد إلى صمته، وإلى ألمه وعذابه.. يزفر وينقر.. وعدت أغيظه من جديد..

أخذت أنقر على المائدة بأصابعى، نقرات منتظمة، كأنى أنقر على رأسه الملتهب..

وصرخ أحمد..

- بلاش خبط.

قلت وأنا أرد صرخته بصرخة أعلى منها:

- يا أخى أنا حرة.. أخبط زى ما أنا عايزة.. حد شريكى..

وعدت أنقر على المائدة بأصابعى.. وعاد أحمد يقول وهو يغالب أعصابه الثائرة:

- من فضلك.. أرجوكى.. بلاش خبط..

قلت وكأنى أسخر منه:

– لا.. حاخبط..

وعدت أنقر بأصابعي..

ونظر إلى أحمد بعينين غريبتين، كأنه مجنون.. ثم قام من على مقعده وأخذ يطوف بالحجرة.. وأنا لازلت أنقر بأصابعي.. وفجأة رفع بيده «طقم التواليت» وحطمه على الأرض.. وهو يصيح ويصرخ كأنه المجنون..

ولم أسمع شيئا من صراخ أحمد.. ولكنى نظرت إلى طقم التواليت المحطم وأنا كالمذهولة.. لم أكن أنتظر أن تصل ثورة أحمد إلى هذا الحد. كان هذا الطقم هدية من أختى، وكان من أعز ما أملك..

وبكيت.. بكيت في حرقة!

وعندما رأى أحمد دموعي هدأ.. وأفاق إلى الخسارة التى سببها بثورته.. فجاء إلى يأخذنى بين ذراعيه ويعتذر لى.. ثم بدأ يروى لى سبب ألمه وعذابه، وهى أسباب متعلقة بعمله.. وانفرجت أساريره.. وعاد يفكر في مستقبله بهدوء..

إنى اليوم عندما أقيس بين تضحيتى بطقم التواليت، وبين نجاحى فى اعادة الهدوء إلى زوجى، والتفريج عن عذابه الذى كان يمكن أن يتطور إلى نكبة.. أفضل أن اضحى بألف طاقم مثل طاقم التواليت هذا..

هل أستطيع أن أتحدث عن «الموضوع الخاص» الذى يربط كل زوجين؟!

أظن أنى مادمت قد وعدت بأن أكتب عن أسباب سعادتى الزوجية، فيجب أن أتحدث بصراحة – أن أقول كل شيء..

خصوصا وان هذا «الموضوع الخاص» من أهم الأسباب التى قامت عليها سعادتى..

لقد كنا فى بدء حياتنا الزوجية، لا ننام!!

كان ليلنا كله حارا نشطا تنطلق فيه صواريخ حمراء وخضراء وزرقاء.

كانت لهفة أحدنا الى الآخر، لاتفتر، ولا تنتهى

كانت الأيام الطويلة التى قضيناها فى حرمان قبل الزواج قد اختزنت فى أعصابنا طاقة ضخمة من الشوق والرغبة.. حتى خيل إلينا أننا لن نشبع من بعضنا أبدا..

ولكن هذا الجنون كان لا يمكن أن يستمر.. وليس معنى هذا أن حبنا قد فتر، أو أصبح حبا عجوزا.. ولكن معناه أن حبنا قد هدأ.. اجتاز مرحلة الجنون والحرمان و«الفجعة» وأصبح حبا هادئا «شبعان» .. يتناول وجباته فى تأن مما يتيح له متعة أكبر..

ولم نكن نحدد مواعيد ثابتة لهذه الوجبات.. إن هذه المواعيد المحددة تفسد التجاوب الروحى ، وتفسد الإحساس بالرغبة .. وتجعلنا نشعر كأننا ندفع ضريبة مادية معينة يفرضها علينا الزواج..

لا .. لم تكن هناك مواعيد محددة..

كنا نصحو أحيانا ليالى كثيرة متعاقبة..

وكنا أحيانا ننام ليالى كثيرة اخرى .. متعاقبة ايضا!

ولم تكن تكفى رغبة احدنا.. بل كان يجب ان تلتقى رغبتنا نحن الاثنين فى وقت آخر .. وإذا لم تلتق رغبتنا يجب على

واحد منا أن يكبت رغبته ويتحملها مهما بذل في سبيل تحملها من مجهود، احتراما لشعور الآخر وإرادته.

وكانت تمر أسابيع طويلة وأحمد زوجي عازف عني.. لايحاول أن يقربني، فلم أيأس ولم أثر، ولم أدع انانيتي تسيطر على عقلي وتدفعني إلى تصور أوهام لاحقيقة لها .. لم أتصور أبدا أن أحمد لم يعد يحبني، ولم أتصور أن هناك إمرأة تشاركني فيه وتستنفد حيويته..

كل ماكنت أتصوره أن متاعب أحمد في عمله تستحوذ على كل تفكيره.. وأن الرجل عندما يحصر تفكيره في عمله لايبقى فيه شيء من طاقته الحيوية يمنحه لمتعة جسده .. حتى لو حاول في هذه الظروف أن يهرب من تفكيره ومن مشاكله فإنه لايكون طبيعيا .. بل يكون مفتعلا يبدو عليه الهرب.

ولذلك كنت أصبر .. أصبر حتى يأتي إلى أحمد بكل تفكيره، وبكل قلبه ، وبكل حيويته .. فآخذ منه مايكفيني، إلى أن يعود إلى مشاكله..

شيء واحد كنت أحرص عليه، ولم أتنازل عنه حتى يومنا هذا .. وهو أن ابدأ نومي بين ذراعي أحمد .. ذراعه تحت رأسي ورأسي فوق صدره .. ولم أنس أبدا أن أقبله قبلة المساء..

إن هذه القبلة - قبلة المساء - هي التي أعرف من خلالها حالته النفسية .. وأحدد على ضوئها إن كنت أصحو أو أنام !

ورغم ذلك .. رغم هذا الصبر الطويل.. فقد كنت أغار على أحمد..

كنت أغار على زوجي..

كنت أثق به .. اثق في حبه، وفي خلقه، وأصدق كل كلمة يقولها لي .. ورغم ذلك كنت أغار عليه وأظن أن المرأة التي لاتغار على زوجها، لم تولد بعد!

ولكني لم أدع الغيرة تسيطر على أبدا، كنت كلما شعرت بالغيرة، كبت شعوري، وضغطت على أعصابي ثم أبدأ - بعد أن اهدأ- أفكر في التصرف الذي يجب على أن أتخذه..

وكنت قد قررت بيني وبين نفسي أن أدع أحمد يسهر ليلة أو ليلتين في الأسبوع مع أصدقائه.. كنت أعرف أن سهرات الرجال تختلف إختلافا كبيرا عن السهرات المختلطة التي تضم الرجال والنساء.. تختلف على الأقل في مواضيع الحديث. فهناك مواضيع كثيرة يتحرج الرجال في مناقشتها أمام النساء.. كما أن هناك مواضيع أخرى يتحرج النساء في الخوض فيها أمام الرجال..

وكل رجل محتاج أن يقضي سهرة رجالي، لينفس عن نفسه.. ليتكلم الكلام الذي لا يستطيع أن يتكلمه في حضور زوجة صديقه..

النكت الخارجة مثلا..

أنا لا أسمح لأحد من أصدقاء زوجي أن يقول نكتة خارجة أمامي.. وإذا قالها فإني لا أضحك لها مهما كانت براعة النكتة، بل أسكت سكوتا باردا، يرتد في صدر قائلها كالسكين.

ولكن ليس من حقي أن أحرم زوجي من سماع النكت الخارجة وتبادلها.. لذلك فاني اتركه يقضي بعض ليالي

الأسبوع مع أصدقائه..

وعاد زوجى من إحدى سهراته «الرجالى» بعد منتصف الليل.. وايقظنى بقبلاته.. وأخذ يروى لى تفاصيل سهرته مع اصدقائه.. ونمنا.

وفى الصباح، وعندما كنت اضع يدى فى جيوبه لأنقل حاجياته من بدلة الى بدلة تعلقت عينى بمنديله..

لقد كان فى المنديل بقعة كبيرة من آثار أحمر شفاه، تلمع أمام عينى كأنها جذوة من نار..

وتصاعدت الدماء الى رأسى أحسست ان الدنيا تدور بى.. وان كتلا من الظلام تتجمع أمام عينى حتى لم اعد ارى شيئا..

واستندت الى حافة الفراش، حتى لا اقع على الأرض.. وبدأت أقاوم نفسى.. أقاومها بكل ارادتى.. كنت أعلم اننى يجب ألاَّ اتخذ اى اجراء وأنا فى هذه الحالة. حالة الغضب وحالة الغيرة العمياء، وأخذت أردد بينى وبين نفسى. «اللهم اخزيك ياشيطان.. اللهم اخزيك يا شيطان»!

وبعد قليل خرج زوجى من الحمام، وجاء الى الغرفة وهو يغنى..

ربما كان وجهى يبدو مصفرا، فقد سكت عن الغناء فجأة، وقال لى وهو ينظر إلى بكل عينيه.

– مالك؟!

وكأن وجوده بجانبى قد أعاد الى ثقتى بنفسى وبذكائى.. فقد استطعت أن أسيطر على أعصابى، وأن أبتسم ابتسامة

كبيرة، وأقول وأنا أخفى المنديل وراء ظهرى:

– تفكر لقيت ايه في جيبك؟

قال ضاحكا: اتناشر قرش ونص!!

قلت: وحاجه كمان!

قال في إخلاص: ايه؟

قلت: شفايف واحدة ست!

ثم لوحت بالمنديل أمام عينيه..

واضطرب وجهه.. وقال انه ذهب مع اصدقائه ليلة امس الى الأوبرج – وكان قد اخبرنى بذلك بعد عودته وان واحدا منهم أراد مداعبته فسلط عليه احدى الراقصات لتقبله في خده، وهو يقول لها – أى للراقصة - «ده أخلص زوج فى مصر»!!

وقد قبلته الراقصة، ومسح قبلتها بمنديله .

وأخذ احمد يدافع عن نفسه دون ان أسأله.. واكد لى أنه لو كان هناك اى شىء بما يؤاخذ عليه لما مسح القبلة بمنديله، بل لمسحها بمنديل احد اصدقائه، ولم أكن لأدرى شيئا..

واخذت أفكر بسرعة، وأنا مازلت محتفظة بابتسامتي..

هل أصدقه؟

إن هذا الاضطراب الذى يبدو على وجهه قد لا يكون دليل إثبات، بل قد يكون دليل براءة.. دليل خوفه من أن أسىء تفسير هذا الحادث، ودفاعه عن نفسه كذلك قد يكون دليل براءته.

ثم ماذا يحدث اذا لم أصدقه؟

سأغضب وأثور.. وأطالبه بدليل براءته.. وقد تغلب على الكرامة الكاذبة فأترك البيت وأذهب الى بيت أبى.. وبذلك أخط

أول خط أسود في حياتنا..

لا.. يجب أن أصدقه، ثم أترك الأيام القادمة تثبت لي سلوكه وإخلاصه..

وقلت له وأنا أضحك:

– تاني مرة ابقى امسح الأحمر في منديل صاحبك احسن!.

وبعد أن خرج.. بكيت.. وغسلت المنديل الملوث بيدي.. وكأني غسلته بدموعي!

ظل دخل أحمد لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها في الشهر، مدى سنتين كاملتين.. عشنا خلالهما في الشقة الصغيرة التي لا يتجاوز ايجارها ثلاثة جنيهات ونصف، وتحملت خلالها المجهود الشاق في تأدية كل أعمال البيت بنفسي والمجهود الشاق في تحمل أعصاب زوجي التي ينهكها مجهوده العنيف في بناء مستقبله..

وبعد عامين بدأ أحمد يجني ثمار جهده.. قبض لأول مرة أتعابا قدرها مائتا جنيه في قضية واحدة، وعين في منصب قانوني بشركة التأمين بمرتب قدره ستون جنيها..

وفرحت..

ولكن أحمد لم «يفرجها» على مرة واحدة.. لم يعطني كل نقوده كما عودني عندما كان يكسب خمسة وعشرين جنيها في الشهر بل بدأ يضع نقوده في البنك، واستخرج لنفسه دفتر شيكات.. وكان فرحه بدفتر الشيكات الأول كفرح الطفل بأول شهادة يحصل عليها.. كان يضع الدفتر دائما في جيبه، ويظهره أمام الناس في كل مناسبة وبلا مناسبة.. وتبدو عليه

دائما سمات كبار رجال الأعمال.

وكنت فرحة بفرح أحمد ونجاحه.. ولم أحاول أن أناقشه فى كيفية التصرف في إيراده ولم أعاتبه، لأنه لم يعطني نقوده كما عودني.. وربما كان أهم ما طمأنني في هذه الفترة أن أحمد كان ينبئني – من تلقاء نفسه – بكل قرش يكسبه.. لم يكن يخفي عني مليما واحدا، كان يقول لى إنه كسب كذا، وإن رصيده في البنك وصل إلى كيت .. و .. و .. وأعتقد أن مصارحة الزوج زوجته بحقيقة حالته المالية هو شرط أساسى للسعادة الزوجية.. فالزواج شركة روحية ومادية، ولن تنجح الشركة إلا إذا توافرت الثقة الكاملة التى لا تترك سرا لأحدهما يغيب عن الآخر، ثم أن معرفة الزوجة بحقيقة حالة زوجها المالية يريحها نفسيا ويجعلها أقدر على تدبير البيت وتدبير مستقبل حياتها الزوجية، ومستقبل أولادها.. وإني أعرف زيجات كثيرة فشلت وتحطمت لا لشيء الا لعدم توافر الثقة المالية بين الزوجين، وإخفاء الزوج حقيقة حالته المالية عن زوجته..

ورغم أن أحمد لم يضع نقوده كلها فى يدى إلا أنه سمح لى بأن اطلب ما أشاء فى حدود ماليته، وهو واثق دائما من حسن تقديرى.

وكان أول ما طلبته هو أن أستخدم «سفرجى» ليعاوننى فى أعمال البيت..

لم أفكر فى استخدام «خادمة».. فأنا لا أحب استخدام الخادمات الصغيرات، ان وجودهن فى البيت يشعرنى بأنى قاسية أرهق طفلة بريئة من حقها أن تجد من يعولها، ومن حقها أن تدخل المدرسة إلى أن تكبر ثم تلتحق بالعمل..

وخصوصا إذا كان فى البيت أطفال فى سن الخادمة، فإن وجودها بينهم يشعرنى أكثر بفداحة جريمة استغلال الطفولة ويشعرها هى اكثر بوضعها كفتاة فقيرة وطفلة معذبة بين أطفال سعداء، بما يملأ نفسها بالحسد والحقد، وقد يتطور حقدها الى شر..

وليس صحيحا أن الخادمات الصغيرت يوفرن مرتب الخدم الكبار . فان سوء تأديتهن للخدمة وكثرة الأخطاء التى تقع منهن، ثم التعب الذى تبذله ربة البيت فى تدريبهن.. كل ذلك يوازى أضعاف أضعاف مرتب الخادم الكبير ثم إنى لا أحب استخدام الخادمات الشابات، لأن سوء تحكمهن فى عواطفهن، يدفعهن كثيرا إلى الوقوع تحت تأثير رجال من الأشرار..

إنها مسئولية كبيرة أن يكون لديك خادمة شابة.. لذلك فضلت أن استخدم «سفرجى» بمرتب قدره ثلاثة جنيهات فى الشهر.. ولا يزال هذا السفرجى فى البيت حتى الآن، ومنذ ثلاثة عشر عاما..

وسأقول لكم كيف احتفظت به هذه المدة الطويلة..

أعتقد أن الاحتفاظ بخادم فى البيت، فن يحتاج إلى ذكاء كبير.. ويحتاج إلى تحديد نوع العلاقة بين سيدة البيت والخادم..

وقد كان الخدم فى بَيت أبى يبقون معنا العمر كله، ولا يخرجون من البيت إلا للزواج، أو للوفاة، أو لسبب قاهر.. ولكن هؤلاء الخدم كانوا جميعا من أهل بلدتنا، ومن ابناء الفلاحين الذين يعملون فى أرضنا.. وكانوا يأتون إلينا صغارا ونعاملهم كبعض افراد العائلة، ويكبرون فى بيتنا إلى أن تتزوج البنات

منهم، ويعود الرجل إلى الحقل.. أو يتوسط والدى لهم حتى يحصلوا على وظيفة ساع فى الحكومة..

ولكن هذه التقاليد قد مضت.. وأصبح الخدم الآن طائفة هامة لها كيانها.. كأى طائفة من طوائف العمال والمستخدمين.. ولكن الخادم - وأنا اكره كلمة «خادم» ولا أستعملها فى كلامى أبدا - يتميز عن بقية العمال والمستخدمين بأنه أقرب الى العائلة.. وقربه من العائلة يستلزم فيه صفات خاصة من النادر أن تجدها مكتملة فى خادم واحد..

ومن واجب ست البيت أن تفسح جميع الفرص أمام الخادم ليثبت لها صفاته ومميزاته، لعلها تكتشف فيه بعد ذلك انه خادم نادر.

وكنت أعلم أن أول ما يجب على نحو السفرجى الجديد الذى استخدمته هو أن أعوده احترامى.

و«الاحترام» كلمة صغيرة، ولكن من الصعب تحقيقها. إنه شىء بين الخوف والحب.. وبين القسوة والحنو.. وبين السخاء والبخل.. و .. و .. شىء لا أستطيع أن أحدده بالضبط..

وقد حاولت أن أوفر هذا الاحترام بينى وبين السفرجى منذ اليوم الأول.. فعودته ألا اترك له غلطة من غلطاته دون أن أنبهه إليها فى حزم، ولكن دون أن أرفع صوتى فى وجهه، أو أتلفظ بألفاظ قاسية تثيره.. وعودته أن أحدد له مواعيد العمل بدقة، وأن أحرص أنا على هذه المواعيد أكثر من حرصه عليها، فإذا انتهى موعد عمله لا اكلفه بشىء ابدا، بل اتولى انا العمل بنفسى.. وعودته على أن أعاقبه إذا تكرر خطؤه، وتكرر تنبيهى له.. وأن يكون عقابى بحيث يحس به دون أن يؤذيه أو يدفعه

إلى ترك خدمتي.. وغالبا ما يكون العقاب هوخصم مبلغ صغير من مرتبه، سرعان ما أتنازل عنه إذا أثبت لى أنه قد كفر عن خطئه ولن يعود إليه..

ولكي أحتفظ به كنت أحاول أن أوفر له الراحة قدر طاقتي.. فكنت أحاول أن أعرف حالته المعيشية.. عرفت عدد الأفراد الذين يعولهم.. وكم يرسل من مرتبه إلى أهله فى أسوان.. ثم بدأت أحسب مايبقيه لنفسه من هذا المرتب، وهل يكفيه حاجته الضرورية؟

وبعد أن حسبت حساب حياته، وجدت أنه يجب أن أكمل له بعض حاجياته.. فكنت أعطيه الشاى والسكر من البيت، وكنت اشترى له قفطانا كل عام . والصابون.. و.. بعض الأشياء الصغيرة الأخرى..

ولم أكن أفعل ذلك بدافع الكرم، بل كنت أفعله لأضمن أمانته.. فانى لا استطيع أن أطلب من انسان أن يكون امينا الا إذا توافرت له حاجات معيشته الضرورية.. وإذا لم يكن امينا بعد ذلك فمعنى ذلك انه انسان لا ينفع!

واذا كنت قد عرفت شيئا عن عائلة السفرجي وعن النواحى التى يصرف فيها نقوده فليس معنى هذا أنى كنت «اسايره» وأشجعه على أن يحدثنى عن أسراره، واحدثه عن اسرارى.. أبدا.. فقد كنت دائما حريصة على ألا يتعدى الحديث بيننا شئون عمله ولوازم البيت، إلا فى الحالات القصوى التى يأتى إلى يشكو بعض أمره.. وهذه ناحية هامة حتى يتوافر لى الاحترام الذى أريده..

وقد قلت إن مرتبه كان ثلاثة جنيهات.. ولكنى لم أعتمد أبدا

على انه يبقى معنا فى سبيل مرتبه.. فهذا المرتب كان يمكن ان يجده فى بيت آخر.. وقد يعرض عليه مرتب كبير، كما يحدث عادة بين البيوت بعضها وبعض عندما تتنافس على الخدم . وإنما السبب الذى اعتمدت عليه فى بقائه معنا، هو معاملتى له..

وقد نجحت معاملتى فى إبقائه معنا، حتى اليوم..

اصبحنا فى البيت ثلاثة.. أنا وزوجى ومحمد السفرجى.. وكان كل شىء يسير هادئا سعيدا، وكان السفرجى يعتبر واحدا من افراد الأسرة له وضع خاص.. وكان من مظاهر هذا الوضع الخاص أن زوجى لم يكن مسئولا عنه - أى عن السفرجى - لا عن عمله ولا عن اخطائه.. بل إنه لم يكن يطلب منه شيئا فكان عندما يريد كوبا من الماء - مثلا - يطلب منى وأنا اطلبه من السفرجى.

وهذا النظام كان ييسر حسن معاملة السفرجى، فبدل أن يتعرض لملاحظات اثنين - أنا وزوجى - أصبح بهذا النظام يتعرض لملاحظات شخص واحدا هو أنا.. وطبعا لم يكن ذلك ليحول دون تدخل زوجى فى المواقف الحاسمة، وإذا كان خطأ محمد السفرجى خطأ كبيرا يضطر إلى تهديده بالطرد.

وبعد شهور أحسست ان هناك ضيفا رابعا فى طريقه إلينا، ليشاركنا حياتنا..

أحسست أنى حامل للمرة الثانية..

وفى هذه المرة لم أفكر فى إجهاض نفسى. فقد أصبحت حالتنا المالية وحالة الاستقرار النفسى التى تربطنا أنا وزوجى، كفيلتين باستقبال طفلى والاطمئنان على مسقبله وتربيته تربية

صالحة..

ولكن المشكلة الأولى كانت فى ضيق الشقة التى نسكنها، لم يكن فيها غرفة أستطيع أن أخصصها للطفل.. وكان من المستحيل أن أتصور أن ينام طفلى فى حجرة واحدة معنا أنا وزوجى، فهذا وحده كفيل بتحطيم أى حياة زوجية. فحجرة الزوجية يجب ان تبقى لهما وحدهما طول العمر . كعش الغرام - ولو اقتضى الأمر ان ينام طفلهما فى المطبخ..

وبما أنى لم اكن أريد أن ينام ابنى فى المطبخ فقد بدأت ابحث عن بيت جديد.. وعن شقة أخرى تتسع لأخصص له غرفة فيها..

كان ذلك منذ عشر سنوات.. وكانت ازمة المساكن كما هى الآن.. وكانت العمارات الجديدة كلها مرتفعة الإيجار.. أقل شقة وجدتها تصلح لنا، لم يكن يقل إيجارها عن خمسة وعشرين جنيها..

وساءلت نفسى: هل أدفع خمسة وعشرين جنيها كل شهر، أم أدفع خلو رجل فى شقة بإيجار قديم لا يزيد عن عشرة جنيهات..

وفضلت أن أدفع خلو رجل.. فعلم الحساب يؤكد ان «خلو رجل» مهما بلغ، يقل عن الإيجار الذى يزيد عن عشرين جنيها.

وبدأت أبحث عن شقة . وكان كل ما اشترطه أن تكون شقة صحية، وهادئة على قدر الإمكان وفى وسط جيران طيبين..

وأنا شخصيا لا أفرط فى الاتصال بالجيران، بل أجد فى التمادى فى الاختلاط بهم خطرا على سعادة العائلة وهدوء

البيت.. وكنت حتى ذلك اليوم لا أعرف جيرانى إلا من وجوههم، وأكتفى بتحيتهم من بعيد لبعيد، ولا أصادق واحدة منهن، ولا أزورها إلا فى المناسبات الرسمية.. ولم أكن أهتم بأن يقال عنى إنى «متقنزحة» وإنى «متكبرة» فهذا خير من أن أعرض هدوء بيتى لضجة انا فى غنى عنها.. وقد تعودت منى جاراتى هذا الانطواء.. ويوما بعد يوم.. أصبحنا نتبادل الاحترام.. الاحترام فحسب، أى لا نتبادل الأسرار كما تفعل معظم الجارات.. ورغم ذلك فقد كنت افضل دائما أن يكون جيرانى «ناس طيبين»..

وبحثت طويلا . انقضت شهور وأنا أبحث، دون أن افقد صبرى.. الى أن وجدتِ أخيرا الشقة التى أريدها، ودفعنا فيها «خلو رجل» قدره ثلثمائة جنيه .

وبدأت أستعد للانتقال الى البيت الجديد..

لقد اكتشفت أن من أسرار السعادة الزوجية ألا يبقى الزوج فى البيت طويلا.. ألا يعود إلى البيت وقت الغداء، ويبقى فيه إلى صباح اليوم التالى!!

وقد تعرضت لهذه التجربة فى فترة الاجازة الصيفية، عندما قرر أحمد أن يغلق مكتبه لمدة شهرين ليستريح فيهما..

وقد كان أحمد فى حاجة إلى الراحة فعلا.. ولكنه لم يستطع أن يجد راحته بالبقاء فى البيت..

كان يخرج فى الصباح متأخرا - فى الساعة الحادية عشرة - ويذهب إلى شركة التأمين، ثم يمر على اصدقائه فى المقهى، ثم يعود ساعة الغداء ليبقى معى. وكنا نخرج فى المساء لنذهب الى السينما أو لبعض الزيارات العائلية.. ولكن مع مرور الايام أصبحت السينما والزيارات نوعا من الروتين.. وبدأ أحمد

يضيق بى وبالبيت.. أصبح يكثر من ملاحظاته على كل شىء يراه حوله، وأحيانا تنقلب هذه الملاحظات إلى مناقشات، ثم إلى خناقات . وبعد ذلك بدأ أحمد يهرب من البيت، ليقضى المساء مع اصدقائه، ويعود فى النصف الأخير من الليل، وأحيانا يعود ورائحة الخمر تفوح منه، ثم اكتشفت أنه بدأ يلعب القمار.. صحيح، إنه لم يصب بداء القمار، ولم يكن يلعب الا بقروش، ولكنه ـ على كل حال ـ بدأ يلعب..

كنت أعلم السبب فى هذا التحول الذى طرأ عليه..

السبب هو أنه لا يجد شيئا آخر يعمله..

والرجل حيوان جميل، لا يمكن استئناثه والاطمئنان اليه الا باجهاده.. أى يجب أن يعود الرجل إلى البيت مجهدا متعبا ليجد فيه راحته ويعرف فضل زوجته عليه.. أما إذا بقى فى البيت طويلا دون أن يعمل شيئا محتفظا بكل قواه، فهو يعود إلى طبيعته.. حيوانا جميلا ثائرا، لا يخضع ولا يحمد الله..

واحترت ماذا أفعل فى زوجى،

ولم أكن أستطيع أن أنتظر حتى تنتهى الاجازة، فقد كنت أخشى أن يتطور زوجى الى ما هو أسوأ.. ولم أكن أستطيع أيضا أن أطلب منه ان يلغى اجازته.. ويعود إلى مكتبه.. ولم أكن أستطيع أن ألح فى السفر إلى الاسكندرية ـ مثلا ـ فميزانيتنا لم تكن تحتمل، خصوصا وأننا كنا فى ذلك الوقت نبحث عن شقة جديدة ونضع القرش فوق القرش لنجمع قيمة خلو الرجل.. وأخيرا تذكرت أن شقيقتى وزوجها عضوان فى النادى الاهلى، وزوجها يلعب هناك التنس.. وتذكرت أن أحمد كان يلعب التنس وهو طالب ثم تركه بعد تخرجه.. وتحايلت حتى دعتنا شقيقتى الى النادى.. وأنا أدعو الله فى سرى أن

«تنفتح نفس» أحمد للعب التنس.

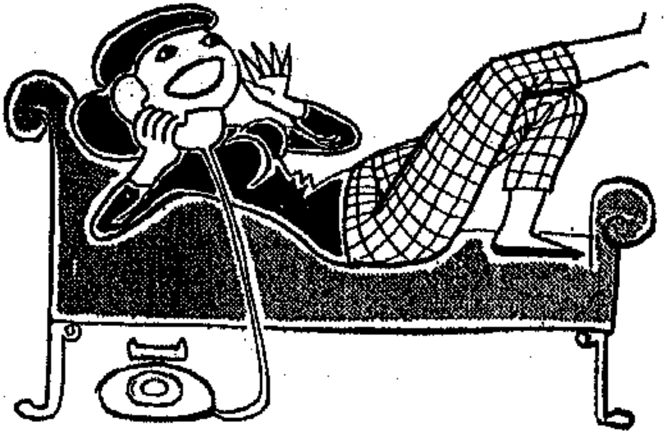
ولم يكن أحمد يميل كثيرا الى زوج شقيقتى . كان بينهما دائما نوع من الغيرة والتنافس، وربما كان هذا هو حال كل «العدايل».. ورغم ذلك فعندما شاهد أحمد ملاعب التنس وشاهد عديله يلعب، إنفتحت نفسه.. ونزل الى الميدان، ربما لا لشيء الا ليتغلب على زوج شقيقتى..

وعادت إلى أحمد هواية التنس، كما تعرفنا فى النادى الأهلى إلى «شلل جديدة» من الناس أثاروا إهتمام أحمد، وبدأ يوطد علاقته بهم، ويحاول ان يكسب ثقتهم ليكونوا زبائن لمكتبه فيما بعد.. ثم أصبحنا عضوين فى النادى.. وبذلك تغلب أحمد على حالة الملل التى تسلطت عليه من طول بقائه فى البيت بلا عمل.. ومرت الاجازة بسلام..

وعندما انتهت أجازة أحمد، كنت قد وجدت الشقة الجديدة، وامتلأ وقتى كله بمتاعب الانتقال الى البيت الجديد..

كانت الشقة التى أقيم فيها مكونة من ثلاث غرف، وكانت الشقة الجديدة مكونة من خمس غرف.. ورغم ذلك فعندما انتقلت إلى الشقة الجديدة بالأثاث القديم - مؤقتا - ولم أشتر سوى «أنتريه» جاهز وضعته فى الصالة الخارجية للبيت.. ثم اشتريت بعض «التابلوهات» وقطع السجاد الأسيوطى لأملأ به فراغ الشقة.. ثم قررت أن أضع فى حسابى إعادة فرش البيت كله ولكن «على مهل».. وانا أعتقد أن تأثيث البيت، عملية أقرب إلى شغل التريكو، يجب أن تتم غرزة بعد غرزة، وقطعة بعد قطعة.. وقد بدأت فعلا فى شراء مجلات الاثاث الامريكية والفرنسية لأنتقى منها القطع التى تعجبنى، وبحثت عن النجار «العمولة» الذى سيقوم بصنعها..

وكانت هناك ثلاثة شروط يجب أن أحققها فى كل قطعة أثاث.



كانت الشقة التى أقيم فيها مكونة من ثلاث غرف، وكانت الشقة الجديدة مكونة من خمس غرف.. ورغم ذلك فعندما انتقلت الى الشقة الجديدة بالأثاث القديم - مؤقتا - ولم اشتر سوى «أنتريه» جاهز وضعته فى الصالة الخارجية الأسيوطى لأملأ به فراغ الشقة.. ثم قررت ان.. اضع فى حسابى اعادة فرش البيت كله ولكن «على مهل».. وانا أعتقد ات تأثيث البيت، عملية اقرب الى شغل التريكو، يجب أن تم غرزة بعد غرزة، وقطعة بعد قطعة.. وقد بدأت فعلا فى شراء مجلات الاثاث الامريكية والفرنسية لأنتقى منها القطع التى تعجبنى، وبحثت عن النجار «والعمولة» الذى سيقوم بصنعها..

١- أن تكون مريحة، ورخيصة..

٢- ان تكون مطبوعة بشخصيتي، أى أن أضيف إليها شيئا جديدا يعبر عن ذوقي، وليس له مثيل في المجلات أو فى محال الأثاث..

٣- ان تكون سهلة التنظيف، وان تحتمل على الأقل خمس سنوات، لأنى أؤمن بضرورة تغيير اثاث البيت كل خمس سنوات - على الاقل - فإن تغيير الأثاث معناه تجديد الحياة فى البيت..

وصدقونى، انى لم انته من اعادة فرش البيت الجديد الا بعد عامين من انتقالى اليه..

وقد اكتشفت أن مجرد انتقالنا الى هذا البيت كان ايذانا بزيادة مصروف البيت.. فإن مجرد اختلاف البيئة وانتقالنا الى وسط أرقى من الجيران اضطرنا الى الحرص على كثير من المظاهر التى لم نكن نتمسك بها من قبل حتى ثيابى أصبحت مضطرة الى ان اختارها من صنف أرقى حتى أجارى بها الوسط الذى انتقلت اليه.

ولا أعتقد أننا نستطيع أن نهمل المظاهر إهمالا تاما.. أنها شيء أقوى منا.. ولكننا نستطيع أن نوفق بينها وبين ضرورات الحياة.. وعندما تتعارض الضرورة مع المظهر فيجب أن نضحى بالمظهر.. وقد كنت أذكر دائما بينى وبين نفسى، سيدة مطلقة كانت من صديقات والدتى، وكانت من هواة المظاهر إلى حد الجنون.. كانت تكلف ثوبها خمسين جنيها، وحذاءها خمسة عشر جنيها، وتقيم حفلة فى كل شهر.. وكنا جميعا نعتقد انها سيدة ثرية، إلى أن جاءت يوما تقترض من والدتى ثلاثين جنيها لتدفع مصاريف مدارس أولادها.. وعرفنا بعد ذلك أن حياتها مرتبكة إلى حد أن

أولادها ليس لدى كل منهم سوى بيجامة واحدة، وكان كل منهم عندما يأخذون بيجامته للغسيل يجلس شبه عار إلى أن يتم غسلها وتجفيفها .. مساكين!

هذه الصورة كانت تقفز إلى ذهنى كلما أغرتنى الحياة التى تحيط بى على التمادى فى الصرف على المظاهر..

ورغم ذلك.. رغم حرصى الشديد.. فقد ارتبكت حالتنا المالية، نتيجة للحياة الجديدة التى دخلنا فيها .. فقد اضطررنا إلى استخدام سفرجى آخر جديد، فلم يكن محمد السفرجى يستطيع أن يقوم باشغال خمس غرف وحده، كما أنى لم أكن أستطيع أن اسعاده كثيرا لانى كنت حاملا.. ولكن، بعد ان جاء السفرجى الجديد، بدأت اعلم محمد شئون الطهو، لأجعل منه طباخا .. وقد افلحت فى ذلك إلى حد كبير.

كما أنى أضطررت إلى شراء «فريجيدير» بالتقسيط.. و... و... كل ذلك اربك ميزانيتنا . وعندما شعر زوجى أحمد بهذا الارتباك لم يفعل اكثر من اعطائى كل دخله، وتركنى أتصرف وحدى.

وقد تصرفت بحيث لا أشعر أحمد بأى نقص فى حياته أو فى «مصروف جيبه» بل بالعكس رفعت نسبة هذا المصروف.. وكانت الوسيلة الوحيدة هى أن بدأت أسحب من رصيدى الذى تجمع لى فى البنك، كما اقنعت أحمد بأن من حقى ان آخذ ما يعطيه لى ابى، ما دام لا يعطينى إلا مبلغا صغيرا بالنسبة لما يعطيه لى هو . أى زوجى!

وهكذا توازنت الميزانية مؤقتا..

وبدأت أستعد لاستقبال المولود الجديد .

ابنتى الأولى..

هل أصف لكم شعور الحامل؟!

لا أستطيع . أنه شعور اللهفة.. والخوف.. والزهد.. والملل.. والفرح.. والضيق.. شعور كموج البحر، يصخب حينا، ويهدأ حينا، وهو في صخبه وهدوئه يثيرني ويتلف أعصابي

وقد مرت عليّ هذه الشهور - شهور الحمل - وأنا في حالة غير طبيعية.. كنت في بعض الأسابيع أنام كثيرا.. أقضي معظم ساعات النهار والليل نائمة نوما عميقا وأسابيع أخرى لا أنام، ويخيل إلى أن أعصابي قد اشتعلت فيها النار. وعندما «توحمت» كان توحمي على «عبداللاوى» رغم أنى لم أكن أحب هذا «العبد اللاوى» أبدا!

وكان زوجي أحمد يهتم بي أكثر من اللازم. إلى حد اني كنت اضيق باهتمامه وأفقد أعصابي في مناقشاته معي.. وكان يحتملني عادة كلما ثرت، مقدرا حالتي.. وكان يشترى كتبا كثيرة انجليزية وفرنسية عن كيفية الاعتناء بصحة الحامل، وقد حاولت أن اقرأ هذه الكتب، ولكنى لم اطقها، فقد كان يخيل اليّ كلما قرأت عن أحد الامراض أو المضاعفات التى تتعرض لها الحامل، أنى قد أصبت بهذا المرض.

وفضلت أن ألقى بهذه الكتب بعيدا عنى، مكتفية باتباع نصائح الطبيب والموظبة على التردد عليه في المواعيد التي يحددها لي.. وقد قسوت على نفسي كثيرا لأحافظ على نصائح طبيبي خصوصا عندما منعني من أكل «المخلل» فقد عشت حياتي كلها وأنا «أموت» في المخلل.

وعندما وصلت الشهر السادس من الحمل بدأت تنتابني حالة جديدة، فقد خيل إلى أن منظرى أصبح بشعا.. وتجسم هذا

المنظر البشع فى خيالى، حتى قررت أن أمتنع عن الخروج بتاتا رغم الحاح زوجى علىّ .

وتطورت هذه الحالة عندى إلى أن أصبحت معتقدة أن زوجى لا يطيق منظرى.. وخيل إلى أنه يبحث لنفسه عن امرأة جميلة المنظر. ليست منتفخة مثلى.. ثم خيل إلى أنه وجد هذه المرأة وأنه يخوننى معها..

وتمكنت هذه الفكرة منى . وكدت أجن! أصبحت واحدة أخرى غير نفسى.. كنت أراقبه، وكنت أبحث فى مناديله وقمصانه لعلنى أجد أحمر شفاه، أو أشم فيها رائحة «بارفان» وبدأت أتصرف تصرفات سخيفة - أخجل من ذكرها الآن - إلى حد أنى كنت أتعمد أن أثيره كل ليلة، حتى أستنزف حيويته ولا أترك منها شيئا لامرأة أخرى!

وتحملنى زوجى العزيز.. تحملنى كثيرا.. فقد كان يعلم حالتى، ويعلم أنها حالة غير طبيعية!

وانتهت هذه الفترة عندما أصر الطبيب على أن أخرج لأسير على قدمى كل يوم - بعد الشهر السابع - وأصبح أحمد يخرج ليسير معى بعد أن ينتهى عمله فى المكتب. وكنت أصر فى مبدأ الأمر على أن نسير فى الشوارع البعيدة المظلمة حتى لا يرى أحد منظرى البشع.. ولكنى يوما بعد يوم اكتشفت ان كل ما كان يخطر لى كان مجرد أوهام.. أن الناس تمر بى فتنظر إلىّ نظرة تقدير واحترام كأنهم ينظرون إلى تمثال الأمومة.. والبعض يبتسم ابتسامة حانية، والبعض يفسح لى الطريق كأنى ملكة.. أما أحمد فقد اكتشفت انه لا يحس إطلاقا بأن منظرى بشع، بل بالعكس كان يرى أنى ازددت جمالا أثناء مدة الحمل.. وهو

يقصد جمال وجهي طبعا! وربما كانت تباشير الأمومة تضفي على وجوهنا نورانية تزداد بها جمالا.. وكان أحمد يسير بجانبي فخورا رافع الرأس، وكأنه يقول للناس «أنا صاحب هذا الشيء».

ولم أعد اتعمد أن اختار الشوارع المظلمة لأسير فيها، أصبحت «انزل البلد» كل يوم وأذهب في المساء الى الاماكن المزدحمة.. ولا يهمني!

وأخيرا حانت ساعة الوضع

وكانت ولادة متعسرة!

كان يجب ان ألد في المستشفى.. ولا أظن زوجة عاقلة تفكر هذه الايام في أن تلد في البيت كعادة ستات زمان..

وقد بقيت خمسة عشر يوما وانا في انتظار الولادة.. كل ساعة اعتقد أني.. خلاص.. حاولد! فأتصل بأحمد في مكتبه، ويتصل احمد بالدكتور.. ويسرع الاثنان إليّ لأسمع الدكتور يقول كلمته المعتادة: لسه شويه!

وكانت الساعة الواحدة صباحا عندما شعرت بآلام حادة تمزقني، أشد من آلام المرات السابقة.. وخرج احمد ليتصل بالطبيب تليفونيا وأمره الطبيب بأن ينقلني إلى المستشفى.

وبقيت أصرخ والآلام تمزقني من الساعة الواحدة صباحا حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي.. ثم لم أعد أصرخ ولا أتألم.. أغمي عليّ!

كانت ولادة متعسرة.. قاسية!

وأفقت من إغمائي لأجد احمد بجانبي يبكي.. كانت المرة الأولى والاخيرة التي أراه فيها يبكي.. وكان يبكي لآلامي، بل إنه

أعتقد فى لحظة ما انى قد انتهيت!

ولن احاول أن أصف لكم الآلام التى عانيتها، فقد نسيتها انا نفسى.. نسيتها بمجرد أن ولدت.. وبمجرد أن التقت عيناى للمرة الأولى بوجه ابنتى زينب.. أو «زيزت» كما اعتدنا ان نناديها بعد ذلك

ونظر أحمد إلى وجه زيزت، ولم تبد عليه اى امارات السعادة . لا لانها بنت، بل لان كل الرجال لا يشعرون بعاطفة الابوة من النظرة الأولى.. ان عاطفة الامومة ـ كما أعتقد ـ تتولد من الآلام التى تعانيها الأم أثناء مدة الحمل وأثناء الولادة، ومن التغييرات والحالات غير الطبيعية التى تتعرض لها . اما الأب فهو لا يتعرض لمثل هذه الآلام، ولا تنتابه هذه الحالات، كل ما يتعرض له هو حالة الانتظار ـ أثناء مدة الحمل ـ ليرى مولوده.. ولذلك فإن عاطفة الابوة لا تلمع ولا تشتد من النظرة الأولى، إنما تحتاج إلى وقت طويل، وكلما كبر المولود، وتشكلت حياته، كلما قويت عاطفة الابوة فى نفس الاب..

وقد نظر احمد الى زيزت يوم ولادتها، وحاول ان يبتسم، ثم لم يتمالك نفسه وقال:

دى وحشه.. بكره ما تلقيش حد يتجوزها! وفعلا كانت زيزت «وحشة» يوم ولادتها .. كانت ضعيفة، صغيرة، مسكينة، وكانت آثار «الجفت» قد تركت خدوشا فى رأسها الصغير.. وربما كان كل الاطفال لا يبدو جمالهم ساعة ولادتهم. اما اليوم فزيزت جميلة . جميلة.. جميلة.. صدقونى!

وفى هذه الايام، وبعد خروجى من المستشفى أيضا، كان أحمد يدللنى كثيرا. أكثر مما يدلل ابنته ولكنى لم اغتر بهذا

التدليل.. كنت أعرف ان الذى فى حاجة الى التدليل هو احمد.. وكان علىّ أن أثبت له أنى لم أتغير بعد أن اصبحت أماء وأنى لازلت الفتاة التى تحبه، والتى لا يشغلها شىء عنه، وليس فى حياتها أحد غيره.

كان علىّ أن أوفق بين عاطفتى نحو ابنتى، وعاطفتى نحو زوجى، حتى لا يتعدى احدهما على حقوق الآخر.. وقد وفقت فى ذلك إلى حد كبير.

إنى اعلم ان الله هو مسئول وحده عن تربية الاولاد.. ان هناك مظاهر وانحرافات تعترض حياة اولادنا وتكوّن شخصياتهم، ولا يعرف سرها الا الله.. ورغم ذلك فإن علينا أن نأتى بالمستحيل لنساعد الله على تربية اولادنا.

وكنت قرأت كثيرا فى كتب تربية الأولاد.. ولكنى لم ألبث أن اكتشفت ان كل ما قرأته مجرد نظريات، قد تصلح لتكون أساسا لتفكيرى، ولكنها لا تصلح ـ غالبا ـ للتطبيق العملى.. ومن الخطأ دائما أن نتمسك بما نقرأه ونحاول ان نطبقه كما هو . فان الظروف والحوادث التى تحيط بكل فرد تختلف عن ظروف الاخر. وهذه الظروف لا يتحكم فيها كتاب أو رأى للكاتب، والطريق الوحيد للتغلب عليها هو الاعتماد على الرأى الشخصى، وحسن التصرف.

ومنذ أن جاءت ابنتى «زيزت» قررت أن أكتب مذكرات يومية عن كل ما يطرأ على حياتها.. كل شىء حتى التوافه الصغيرة.. وخصصت كراسة أنيقة لهذه المذكرات، لصقت على غلافها بطاقة تحمل اسم «زيزت».

كنت اكتب مثلا: «اليوم بكت زيزت ثلاث مرات مرة فى

الساعة العاشرة.. ومرة في الساعة السادسة مساء.. ومرة فى الساعة الثانية عشرة.. وقد تناولت رضعاتها بانتظام، ولكنها أعادت نصف الرضعة الثالثة.. و...»

وعندما كبرت بدأت أسجل كثيرا من الكلمات التى تقولها.. وكثيرا من تصرفاتها.. عندما كانت تحطم لعبة.. أو تمزق كتابا.. أو.. أو.. كل هذا كنت أسجله!

وكنت أعرض هذه المذكرات على الطبيب كلما مرضت زيزت ليستعين بها فى تشخيص مرضها وعلاجها سواء علاج جسمها أو نفسها.. وكنت أنا نفسى استعيد قراءة هذه المذكرات بين وقت وآخر حتى لا انسى شيئا من عمر ابنتي، خصوصا إذا صادفنى تصرف غريب من تصرفاتها لا أستطيع تحليله، فأنى أعتقد أن أى تصرف لابد له من مقدمات فى تصرفات اخرى مضت.. وأكثر من ذلك لقد أصبحت هذه المذكرات تسلية مفيدة لابنتى بعد ان كبرت وكانت تلح علىّ كثيرا من وقت لاخر، كى أعطيها لها لتقرأها.. ولم تكن تشبع ابدا من قراءتها، كانت كأنها تقف امام مرآة التاريخ لترى عمرها.

كانت هذه المذكرات هي بعض ما أحرص عليه. ولكنها لم تكن اهم ما أحرص عليه.. إنما كان الأهم هو ان اجعل من بيتى دنيا صالحة لتربية الأولاد

وكان أهم ما تقوم عليه هذه الدنيا، هو الحب.. حبى لزوجى، وحنانى على الخدم.. ولم يحدث أبدا أن تناقشت مع زوجى مناقشة حادة أمام الاولاد ورغم كثرة المناقشات التى تحدث بيننا، ورغم أخطاء أحمد الكثيرة الجسيمة، وهى أخطاء سأحدثكم عنها بالتفصيل فيما بعد.. ولم يحدث أبدا أن قلت

كلمة نابية للخادم، ولم أتصرف تصرفا لا أريد لأولادى ان يتصرفوا مثله.

إن الاولاد يتأقلمون بالبيت.. الذى ينشأون فيه، وتصرفاتهم الأولى هى دائما تقليد لتصرفات الاب والام واهل البيت.. لذلك أضنيت نفسى كثيرا لأهيىء لابنتى وولدى البيت الصالح والأم الصالحة، بل أنى كنت أحاول أن أجعل من الخدم خدما صالحين.. كنت أحاسبهم على كل كلمة يقولونها، وكل حركة يأتون بها.

ورغم ذلك.. رغم كل الحرص هذا.. فقد فوجئت بابنتى وهى فى الثامنة من عمرها تقول للخادم:

يا سم كده!

من أين اتت بهذه الكلمة.. انها كلمة لم تتردد أبدا فى بيتنا، وأنا نفسى لم اتعود أن ألفظ بها.

لابد انها اتت بها من المدرسة..

كيف أوفق بين البيت، والمدرسة..

كنت قد نسيت تماما انى مسئولة عن ابنتى فى المدرسة كما انى مسئولة عنها فى البيت.. ولم اشعر بهذه المسئولية الا بعد أن سمعت ألفاظا غريبة على لسان ابنتى.. الفاظا لا يمكن ان تكون قد التقطتها من البيت.

ماذا أفعل..

أول ما فعلته.. هو أنى ذهبت إلى المدرسة بنفسى، وتعرفت «بالست الناظرة» وقد وجدتها سيدة طيبة كريمة، فرحبت بلقائى اكثر مما كنت انتظر، وقد طلبت منها أن تقدمنى إلى مدرسات

ابنتى، فرحبت باقتراحى، ودعت المدرسات واحدة بعد الاخرى وقدمتهن إلىّ.. ثم انتظرت إلى فترة «الفسحة» وجلست معهن جميعا نتحدث عن البنات وعن متاعبهن ومتاعبنا معهن.. وكنت اهتم كثيرا بالسؤال عن زميلات ابنتى.. واحدة.. واحدة.. من هى؟ ما هى تصرفاتها؟ ما هو الوسط الذى تعيش فيه!

ولم أحاول أن أرى ابنتى وأنا فى المدرسة.. فقد اعتقدت ان هذه العادة - التى تتبعها كثير من الامهات - فيها تدليل لا مبرر له، وفيها تدخل فى سلطة المدرسة، وإحساس للبنت بأن وراءها من يحميها من مدرساتها، وهو إحساس قد ينتهى بالبنت الى نوع من التحدى لنظام المدرسة.

لذلك تركت المدرسة دون ان ارى ابنتى، وقد عرضت الناظرة علىّ ان تستدعيها من «الفصل» وعندما رفضت، خيل إلى ان الناظرة قد ارتاحت لرفضى.

وبعدها.. بدأت ادعو المدرسات الى بيتى، كل اثنتين معا.. ولم اكن ادعوهن تكريما لهن - وهو تكريم واجب - ولم تكن دعوتى رشوة.. انما كنت ادعوهن ليشعرن بالجو الذى تعيش فيه ابنتى، فيستطعن أن يفهمنها أكثر.. ولأشعر كل منهن بنفسى وبآرائى وبشخصيتى فيحاولن ان تكون كل منهن أما لابنتى.. أما مثلى!

وكنت خلال هذه الدعوات اعتبر «زيزت» هى المضيفة.. كانت فى السابعة من عمرها، ورغم ذلك فكنت اعتبرها المضيفة، وهى «ست البيت».. كانت تقدم لهن الشربات بنفسها.. وتجلس معنا طول الوقت.. واتركها توجه الحديث فى بعض الأحيان.

ونجحت هذه الدعوات إلى حد كبير.. ولاحظت تقدما كبيرا فى إحساس ابنتى بالمدرسة، وإحساس المدرسة بابنتى.

واخترت من بين زميلات ابنتى اربعا صممت على دعوتهن إلى بيتى مع امهاتهن.. فانتهزت فرصة عيد ميلادها، واتصلت بالامهات بالتليفون وقدمت لهن نفسى، ثم دعوتهن.. وقد قبلن الدعوة مرحبات.. وعملت بعدها على ان اوطد صداقتى معهن لاكون دائما على اتصال بالبيئة التى تعيش فيها صديقات «زيزت» ولم تكن هذه الصداقة صداقة بالمعنى المفهوم، بل كانت اكثر من صداقة، وكنا نحن الخمس متفاهمات ـ فيما بين انفسنا ـ على اننا نفتعل هذه الصداقة من اجل بناتنا.

وهكذا ضمنت إلى حد كبير التوفيق بين البيت والمدرسة.. ووصل احدهما بالآخر.. دون ان يكلفنى ذلك سوى تقديم بعض زجاجات الكوكا كولا أو اكواب الشربات.

وليس معنى ذلك أنى استطعت ان اتحكم فى مصير ابنتى وفى تربيتها.. ولكن على الاقل فعلت ما بوسعى، والباقى على الله.

وكل هذا التعب الذى كنت اتحمله فى سبيل ابنتى، لم يكن يوازى شيئا بالنسبة للتعب الذى تحملته نتيجة نزوات زوجى احمد واخطائه.. وهو تعب تحملته فى سبيل اولادى ايضا.

وكانت أكثر المشاكل التى يمكن ان تثور بينى وبين احمد قد حللتها.. مشاكل البيت، والمصروف.. و... و.. مما سبق ان حدثتكم عنه، ولكنه جاء يوم بدأت أحس فيه أن فى حياة أحمد ناحية يخفيها عنى، ويحرص جدا على اخفائها بحركات «مكشوفة» يمكن ان تفهمها أى زوجة.

وذات يوم دق جرس التليفون.. وسمعت صوت سيدة لا أعرفها تقول لى:

حضرتك مرات الاستاذ احمد.

ايوه

والنبى انتى صعبانة علىّ..

وقلت قبل ان انتبه إلى ما تعنيه

حضرتك مين؟

مش حا أقولك.. كفايّة اقولك، خدى بالك من «فلانة»!

وفلانة هذه كنت اعرفها.. أعرفها من بعيد!

وبدأت قصة عنيفة فى حياتى..

فى تلك اللحظة.. بعد ان وضعت سماعة التليفون.. لم أفكر فى فلانة هذه!

لقد فكرت فى أحمد! وفكرت فى هذه السيدة التى حدثتنى فى التليفون!

إنها سيدة لا أعرفها.. فما الذى يجعلها تتطوع بهذا التحذير؟

ألا يمكن أن تكون كاذبة؟

ولكن.. ما مصلحتها؟

وهل معنى هذا أن كثيرات أخريات يعرفن خيانة زوجى.. إلا أنا؟ ربما كان الجميع يعرفون ذلك! ربما كانوا جميعا ينظرون إلىّ فى إشفاق وأنا أمثل دور الساذجة!

لو أننى اكتشفت خيانة زوجى بنفسى دون أن يعرف بها أحد لهان الأمر! على الأقل كانت كرامتى ستظل محفوظة أمام الناس!

وبكيت!

وفكرت ان اجمع ثيابى وأذهب إلى بيت أهلى.

فيعود أحمد ليجد البيت باردا خاليا!

ولكن معنى ذلك أن يعرف أهلي أيضا.. في حين أن هناك احتمالا ولو بسيطا ألا يعْرفوا! وقد تعرف ايضا زيزيت ابنتي.. انني أتحمل أي شيء إلا ان تجرح كرامتي أمامها!

واخذت اجفف دموعي وأنا أدور في البيت الخالي كالشاردة!

وهجمت على خاطري كل روايات السينما التي رأيتها.. والقصص التي قرأتها.. والحكايات التي سمعتها من الجيران.. تصورت زوجي يخونني بعشرات من الطرق التي رأيتها وسمعتها.. وتصورت نفسي في قلب عشرات من المآسي التي بكيت أحيانا وانا أراها على شاشة السينما!

وأخذت أستعرض كيف تصرفت بطلات هذه الروايات، فيهن من هجرت زوجها وطلبت الطلاق فورا. ولكنها عاشت طول حياتها تندم على هذا الطلاق.. وفيهن من أعلنت الحرب على زوجها.. وفرضت عليه حصارا عسكريا مسلحا.. ولكن، إن أعصابي لا تتحمل أن أعلن الأحكام العرفية على زوجي في البيت ولا تحتمل أن أعيش في حالة حرب دائمة.. سأشعر أنني لا أعيش في بيت، إنما أعيش في خندق محصن، محوط بالاسلاك الشائكة! انا التي تعودت ان اعيش في جو من الثقة.

ماذا أصنع؟

وقررت الأ اصنع شيئا!

فقط.. سأنتظر وأرقب، دون أن يشعر احمد بشيء..

ودار المفتاح في الباب، وكان احمد داخلا وفي يده بعض الفاكهة كالعادة.

ووجدتني ـ دون أن أشعر ـ أبالغ في الحفاوة به..

وجدتني اقبله في حرارة أكثر من المعتاد.. وأساعده على خلع ثيابه في لهفة مبالغ فيها.. وأنسق له المائدة وأغريه بالطعام في إسراف.

وانتبهت فجأة - ونحن على مائدة الطعام - أنني ابالغ في تصرفاتي.. لسبب بسيط هو أنني اخفي عنه شيئا!

وعادت إلى ذهني لحظات كان هو يبالغ أحيانا في تدليلي والعناية بي مبالغة لا موجب لها.. إذن لابد انه كان يخونني في تلك اللحظات بالضبط! لابد انه كان مثلي الآن يكتم في نفسه شيئا؟

وسمعت صوت احمد يتوقف عن الاكل ويقول لي:

مالك..

وانتبهت إلى أنني أبطأت في الاكل.. وغرقت في دوامة من التفكير والصمت دون أن أشعر.. وانتبهت الى إن هذا المظهر قد يفسد خطتي كلها..

وعدت ابتسم له.. حتى لا تفسد الخطة!

قلت إني قررت الا أصنع شيئا.. فقط سأنتظر وارقب دون ان يشعر احمد بشيء.. ثم اترك الظروف تثبت لي براءته أو خيانته لي.

ولكني لم أطق الانتظار طويلا.. ولم أطق خداع أحمد طويلا بإخفاء ما في رأسي عنه.. ولكن ماذا يجديني لو صرحت له بشكوكي؟! وماذا يجديني لو رويت له خبر التليفون الذي حمل إلى اتهامه بخيانتي مع «فلانة»؟!

سينكر طبعا كل شيء.. سيقول إنه «مقلب» من أحد

اصدقائه، أو دسيسة من امرأة شريرة تحسدنا على سعادتنا.. سيقول أى شىء.. ولن انتهى أنا إلى شىء . سأظل دائما أشك فى خيانته، وأشك فى براءته.

واخيرا قررت أن أضع خطة جريئة.. وربما كان فيها بعض الشر، ولكن كل إنسان فيه ناحية شر.. حتى لو كان شرا أبيض.

وبدأت الخطة بأن سعيت الى التعرف بـ «فلانة» هذه التى اتهمها التليفون بأن زوجى يخوننى معها.

وكنت اعرفها من بعيد.. وأعرف عنها أنها سيدة «على كيفها» وان لها مغامرات كثيرة.. وانها عضوة فى احدى الجمعيات الخيرية. وانها زوجة لرجل عجوز!

وقد تعرفت إليها ببساطة عن طريق احدى صديقاتى.. ويوم قابلتها توددت إليها كثيرا ولم اكن اعرف انى استطيع ان انافق إلى هذا الحد.. ولكن الزوجة الغيور تستطيع كل شىء حتى النفاق!

وفى خلال فترات حديثنا كنت إنظر إليها من تحت لتحت . وشعرت بشعور غريب وأنا انظر إليها.. شعور نفرت منه واستغربته على نفسى.. كنت أنظر إلى شفتيها وأسائل نفسى: ماذا يعجب احمد زوجى فيهما، وكنت أنظر إلى ذراعيها ويخيل إلىّ أن أصابع أحمد منطبعة فوقهما.. وكنت. وكنت وشعور الاشمئزاز يكاد يقلب معدتى.. الاشمئزاز من نفسى لانى افكر مثل هذا التفكير.. ورغم ذلك ظللت انافقها واتودد إليها..

وعندما عدت الى البيت كان أول ما فعلته ان انتهزت فرصة وقلت لزوجى انى قابلت «فلانة»..

قلتها وأنا أحدق فى وجهه لأرى تأثير الخبر فى نفسه..

وقد رأيت الدهشة على وجه أحمد، ثم كأنه كتم دهشته وقال في هدوء مفتعل:

فلانة بتاعة جمعية الاخلاص؟

قلت:

أيوه.. انت تعرفها؟

قال:

وإيه اللى لك عليها؟

قلت:

قابلتها عند واحدة صاحبتي..

ثم عدت أسأله:

أنت تعرفها؟!

قال في لهجة طبيعية:

باقرأ عنها وباشوف صورها في الجرايد؟!

قلت وأنا أحاول أن أثيره:

ويا ترى صورها بتعجبك؟

قال:

يا شيخه دى عاملة زى الجارية الحبشية لما يزوقوها؟

وانتهى الحديث عند هذا الحد وقام أحمد يبحث عن زيزت ليداعبها.. ولكن الخطة لم تنته..

كانت خطتي ان أدعو «فلانة» إلى بيتي وأن أجعلها صديقتي، وأضع أحمد بيننا.

ومن تصرفاته.. سأعلم إن كان يخونني أم لا.. انها خطة شريرة، ولكنها كانت أسلم خطة لزوجة حائرة.

●●●

قررت أن أدعو «فلانة» المتهمة بأنها على علاقة بزوجى إلى بيتى.. وقد دعوتها فعلا بعد أن عرفتنى بها إحدى صديقاتى.. دعوتها مرة واثنتين وثلاث، وفى كل مرة يراها زوجى فى البيت، كانت تنتابه ثورة يكبتها فى نفسه وتنضح على وجهه. ثم لم يعد يحتمل، فقال لى بعد ان خرجت من عندى آخر مرة:

أنا مش عايز الست دى تدخل بيتنا تانى!

قلت فى براءة أحسد عليها:

ليه يا أحمد دى ست كويسه، ودمها خفيف!

قال ثائرا:

دى خسرانة.. ماهياش زيك، ومايصحش تعرفيها!

وكنت أعرف أن «فلانة» ليست مثلى، وان حياتها ليست كحياتى.. حياتها كلها حفلات وسهر ولعب كوتشينة ومغامرات.. ولكنى رغم ذلك «قاوحت» وقلت لأحمد:

يا شيخ حرام عليك.. ما تسمعش كلام الناس!

قال فى حدة:

أنا مش عايز أتناقش فى الموضوع ده.. المهم انها ما تدخلش البيت، ومش عايزك تعرفيها.

قلت وأنا افتعل الثورة:

لا حاعرفها.. انت طول عمرك تحبسنى وتحطنى فى قمقم..

وصاح احمد:

تحب أقولك إنها بتعاكسنى..

قلت وكأنى فوجئت:

بتعاكسك؟!

قال وهو لا يزال محتدا:

ايوه كانت بتعاكسنى قبل ما تعرفك، ولسه بتعاكسنى لغاية دلوقت، وحضرتك زى المغفلة!

قلت وكأنى احقق معه:

وما قلتليش من الأول ليه؟

قال وفى صوته رنة الصدق:

لأن ما حصلش بينى وبينها حاجة.. كنت فاكر إنها مجرد زبونة فى المكتب.. ولما ابتدت تعاكسنى بقيت أهرب منها . وأتحايل لغاية ما خدت منها توكيل بالقضايا بتاعتها.. انما بعد ما دخلت بيتى.. تندعق هيه وقضاياها.. تروح فى ستين داهية.. دى عايزة تخرب بيتى وبيتك.. فتحى وشوفى اللى حواليكى..

قلت وأنا أخفى ابتسامتى:

أنا مش مصدقاك.. إنت دايما تزودها.. ايه عرفنى إنك ما بتكدبش علىّ علشان تبعد عنى صاحبتى..

وصاح:

صاحبتك.. طيب تعالى بكره فى المكتب واسمعى صاحبتك وهيه بتكلمنى فى التليفون.

وذهبت فى اليوم التالى إلى المكتب.. وتحدثت «فلانة» فعلا فى التليفون.. ووضعت إذنى بجانب أذن زوجى على السماعة، وسمعت كلامها.. كلاما ناعما.. فيه اغراء وفيه تشجيع.. كلاما فهمت منه إنه لم يحدث شىء بعد، ولكنها تغريه بكل شىء.. وبعد أن تكلمت طويلا، قال لها أحمد فى برود:

فيه واحدة جنبي عايزة تكلمك!

وقلت في سماعة التليفون، وأعصابي هادئة:

ازيك يا «فلانة» هانم!

وخيل إليّ أن وجهها أحمر، وأخضر، وأزرق، وأسود، عندما سمعت صوتي.. وخرج صوتها مرتبكا وهي تقول:

الله يسلمك.. أنا كنت باكلم احمد في القضية اللي..

وقاطعتها في هدوء:

انا سمعت كل حاجة..

ولم ترد.. وظلت السماعة معلقة حتى قلت لها:

«اورفوار» ثم وضعت السماعة.. وألقيت بنفسي فوق صدر زوجي.

لقد تحررت من الشك . عرفت إنه يحبني . وإنه يخاف عليّ وعلى بيتي، وإنه يفضلني على كل شيء في الدنيا ويحميني من كل شيء حتى من نفسي.

كانت خطة خطرة.. وربما كان خطة شريرة.. ولكنها كانت الحل الوحيد امام زوجة حائرة.

●●●

لقد حدثتكم عن ابنتي.. ولكني لم أحدثكم بعد عن ابني!

وقد كانت تربية ابني «عمرو» مثار خلاف كبير بيني وبين زوجي أحمد . كان أحمد يريد أن ينشيء ابنه كنشأته، وأن يربيه نفس التربية التي ترباها هو.. كان يريد أن يطلق له الحرية وأن يضربه كما كان أبوه يضربه، وأن يشعره بالحرمان من كثير من نعم الحياة.

وكان أحمد يعتقد أن مثل هذه التربية هى التى تجعل من عمرو رجلا.. قويا.. وأنه بذلك يعوده على الكفاح وعلى التعب فى سبيل الوصول إلى ما يريد.

وكنت أخالف زوجى فى كل ذلك . كنت أقول له إنه لا يمكنه أن يحرم ابنه من ركوب السيارة ما دمنا نملك سيارة.. ولا يمكنه ان يحرمه من الذهاب الى النادى الاهلى ما دمنا اعضاء فى النادى الاهلى.. ولا يمكننا ان نتركه ينزل الى الشارع بالبيجاما - كما كان زوجى يفعل فى صغره - إذا كان كل أولاد الحى لا ينزلون بالبيجاما، ولا يمكنه ان يضربها إذا كان المجتمع والبيئة التى يعيش فيها لا تبيح الضرب.

قلت لزوجى إن المجتمع الذى نشأ فيه هو يختلف عن المجتمع الذى ينشأ فيه ابنى. لقد نشأ زوجى فى مجتمع أقل من المستوى الذى نعيش فيه الآن.. وقد كافح وتعب حتى وصل الى حالتنا الراهنة، وبعد ذلك لا يستطيع ان يحرم ابنه مما وصل إليه.

ولم يقتنع أحمد.. وقال لى إنى سأفسد ابنى وأجعل منه «دلوعة» لا يصلح للحياة.. ثم طلب فى إصرار أن أترك له مهمة الولد، ويترك لى مهمة تربية البنت.

ووافقت، أو تظاهرت بالموافقة.. ولكنى لم أنقطع أبدا عن التدخل فى كل يوم من أيام ابنى.. وفى كل يوم كنت اختلف مع أحمد.

اختلفت معه فى المدرسة التى نرسل إليها الولد. فقد كنت أريد أنا أرسلها إلى مدرسة انجليزية أو فرنسية.. وأصر أحمد على ان يدخله مدرسة حكومية.. رفض حتى أن يدخله مدرسة

خاصة.

وقالت له:

ده مستوى التعليم منحط خالص هناك..

قال في برود:

أهو يبقى زى بقية المصريين..

قلت في رجاء:

ووسط المدارس دى وحش خالص يا أحمد..

قال:

الوسط ده هو اللى حيعيش فيه طول عمره، وهوه اللى حيشتغل فيه لما يكبر.. انا مش ناوى اشغله فى باريس ولا فى لندن.. حيشتغل فى مصر يبقى لازم يعيش مع المصريين اللى زيه اذا كان فيهم عيوب يعرفها، واذا كان فيهم حسنات يعرفها برضه.

قلت وأنا أكاد أبكي:

والمدرسين بيضربوا وبيشتموا بالأب والأم!

قال:

احسن.. ياما انضربت وانشتمت وأنا صغير..

قلت:

والكلام اللى زى الطوب اللى حيتعلمه هناك!

قال:

أحسن يتعلمه من دلوقت علشان لما يكبر يعرف يرد عليه!

وانتصر زوجى علىّ . ودخل عمرو إحدى مدارس الحكومة من رياض الاطفال حتى الابتدائى والثانوى.. وكانت النصائح

التى يتلقاها ابنى من أبيه يقشعر لها بدنى.. حدث مرة أن عاد من المدرسة وعلى وجهه آثار لكمة قاسية، وسأله أبوه عمن ضربه، فقال إنه احد زملائه.. وعاد يسأله: «وضربته انت كمان ولا لأ»؟ وقال عمرو: انه لم يتمكن من ضرب زميله، فخاصمه أبوه، ولم يصالحه إلا عندما عاد بعد يومين وابلغه انه ضرب زميله.

شيء واحد كان لي الفضل فيه وهو أني علمت ابنى كل الفضائل.. وأول فضيلة منها هى عدم الكذب..

لم يكن «عمرو» يكذب ابدا..

●●●

من بين المشاكل التى صادفتنى فى تربية ابنى هى مشكلة الضرب.

هل نضربه كعقاب له؟

ولم تقم هذه المشكلة إلا بعد ان بلغ ابنى الخامسة من عمره، فقد بدأ فى هذه السن يصبح عفرتيا صغيرا.. كان لا يهدأ.. ولا ينتصح.. ولا يأكل.. ولا ينام.. إلا بالخناق.. واستنفدنا جميع الوسائل التى يمن أن نعامله بها.. ولم يبق إلا الضرب!

وطلبت يوما من أبيه أن يضربه.. ولكن أحمد زوجى لم يطاوعه قلبه على ضرب ابنه.. لقد ذهب إلى غرفته وهو ينوى ضربه فعلا واغمضت انا عينى فى انتظار أن أسمع صراخ ابنى.. ولكنى لم أسمع شيئا.. وطال انتظارى، فذهبت الى الحجرة لأرى زوجى جالسا وابنه على ركبته يحاول أن يتفاهم معه بالمنطق!

وابتسمت

ارتحت لأن أحمد لم يضرب ابننا.

ومن يومها توليت أنا عملية الضرب، ولم أكن أضربه إلا اذا كرر نفس الخطأ أكثر من مرة.. ولم أكن أضربه وأنا ثائرة الاعصاب فقد كنت اخاف عليه من أعصابى.. أخاف أن اشتد واتمادى فى ضربه أكثر من اللازم.. وإنما كنت اشترط فى نفسى عندما كنت اضربه أن اكون متمالكة لأعصابى حتى لا أخرج عن حدى، وينتهى العقاب إلى نتائج سيئة، أقلها تكوين عقدة فى نفس الطفل تدفعه إلى الثورة على أهله، وتدفعه الى تحديهم، وإلى الكذب عليهم..

كما كنت أحرص على أن أضربه فى مواضع معينة، فلم يحدث أبدا أن ضربته على وجهه مثلا.

والواقع أن أسلم طريقة هى أن تتولى الأم ضرب الابن فى صغره، وفى الحالات التى تقتضى الضرب، أما الأب فيجب ألا يستعمل سلاح الضرب لأن الضرب يقلل من هيبته، وهو يجب ان يبقى دائما مهيبا أمام ابنه.

يجب أن يحترم الابن أباه لا أن يخافه.. والضرب يقلل من احترام الاب، إلى أن يأتى اليوم الذى يصبح فيه الابن لا يحترم أباه ولا يخافه.. لأنه سيعلم مدى ما يستطيع الأب أن يصل إليه، وهو الضرب وسيتعود الابن على الضرب حتى يصبح لا يخافه، وسيبدأ فى محاولة الدفاع عن نفسه ضد هذا الضرب فيفقد احترامه لأبيه

ثم ان الضرب يجب ان تعقبه عاطفة فياضة حنونة رقيقة، لتمحو آثاره من نفس الابن قبل ان تتركز هذه الآثار فى عقد نفسية، وهذه العاطفة هى عاطفة الأم.. لا عاطفة الاب.

ورغم انى ضربت ابنى كثيرا إلا انى لم افقد حبه لى أبدا.. بل كان مظهر حبه لى اقوى بكثير من مظهر حبه لابيه.. لدرجة ان زوجى أحمد كان احيانا يغار منى لان ابننا يلجأ إلىّ فى غضبه وفى رضائه أكثر مما يلجأ إليه.. وطبعا لم يكن يظهر هذه الغيرة امام ابنى أو فى حديثه إليه، ولكننا كنا نتخذ منها موضعا للمداعبة والضحك بيننا نحن الاثنين.. اما امام الاولاد فكان احمد يؤيدنى دائما حتى لو كنت على خطأ، وكنت اؤيده فى رأيه حتى لو كنت اختلف معه فيه.

وإذا خلا أحدنا بالأولاد فكان يتحدث عن الآخر حديثا كله حب واحترام وتمجيد.. كنت اقول لهم ان اباهم هو اعظم رجل فى مصر.. وكان يقول لهم ان امهم هى افضل واجمل سيدة فى العالم كله.

واذكر ان أحمد ضرب ابنه مرة واحدة فى حياته، وذلك عندما دخل البيت فوجده يمزق كتابا من كتبه . وزوجى من هواة الكتب.. وهو يحب مكتبته وينظمها وينظفها بنفسه.. ويتمادى فى جمع الكتب إلى حد انه اقترح ان يغطى جدران الشقة كلها بالكتب.. فعندما رأى ابنه يمزق كتابا، فقد اعصابه مرة واحدة وضربه.. ضربه ـ للاسف ـ بالشلوت!

وقد بهت عمرو.. لم يبك ولم يصرخ، انما ظل مبهوتا عدة ساعات.. اما احمد زوجى فقد افاق لنفسه واحس بالاسف والندم، ولكنى منعته من ان يبدى أسفه لابنه . وذهبت أنا إليه ـ إلى ابنى ـ وقلت له ان أباه كان على حق فى ضربه لان الكتب هى اهم شىء فى البيت، وهى التى جعلت من أبيه رجلا عظيما، ثم سحبته من يده وذهبت به إلى ابيه واقنعته بأن يعتذر له.

من يومها وعمرو - في صغره - يحطم كل شيء في البيت، ولكنه لا يقرب المكتبة ابدا..

●●●

إني اكتب هذه الذكريات من الأسكندرية، وأنا جالسة تحت المظلة الكبيرة على شاطيء سيدي بشر.. وابنتي «زينب» - وهي الآن في الثانية عشرة من عمرها - جالسة مع بعض صديقاتها تحت الشمسية القريبة، وهن يتحدثن أحيانا بصوت أسمعه، وأحيانا يتحدثن بصوت لا اسمعه.. يتهامسن.. والهمسات في حياة البنات تبدأ في سن الثانية عشرة.. اما ابني «عمرو» - وهو في العاشرة من عمره - فالله يعلم أين هو.. لعله في البحر، ولعله فوق «الصخرة»، ولعله يلعب «الراكت» على الشاطيء.. وقد تعودت ألا اسأل نفسي أين «عمرو» طول النهار الذي نقضيه على الشاطيء ولكني اسأل نفسي «اين زينب» في كل دقيقة!

ونحن نقضي الصيف في الاسكندرية كل عام وعلى شاطيء سيدي بشر بالذات.. ولم يحدث هذا منذ بدء زواجي، بل مرت خمسة اعوام طوال لم تكن ميزانيتنا خلالها تسمح بالتصييف.. كنا خلال هذه السنوات الخمس نذهب الى الاسكندرية مرة أو مرتين كل صيف، ولا نبقى في كل مرة أكثر من يومين.

وبدأت أنظم قضاء الصيف في الاسكندرية منذ أن ارتفع دخل زوجي احمد، واصبحت استطيع أن اوفر ما يكفي لقضاء شهر ثم شهرين ثم ثلاثة أشهر هناك.. وكنت في أول الامر استأجر شقة مفروشة لا يقل ايجارها عن ثلاثين جنيها في الشهر.. ثم اكتشفت أنه اوفر لي ان استأجر شقة خالية لمدة العام كله.. وقد وجدت شقة قريبة من البحر مكونة من حجرتين

وصالة، ايجارها ستة جنيهات.. ولم اصرف مليما واحدا على تأثيث هذه الشقة بل كنت كلما اشتريت شيئا من الاثاث الجديد لبيتنا فى القاهرة، نقلت الاثاث القديم لبيتنا فى الاسكندرية..

وهكذا أصبحنا نقضى الصيف كله فى الاسكندرية.. منذ أن تنتهى امتحانات المدارس إلى أن تبدأ الدراسة من جديد.. بل اننا نذهب هناك فى فترات من الشتاء ايضا.. فى شم النسيم، وفى اجازة نصف السنة، واحيانا فى العيد.. واحيانا يضطر احمد للسفر الى الاسكندرية لقضاء بعض اعماله فيقيم هناك فى بيتنا.

وقد كنت أستعد لقضاء الصيف طول العام.. أبدأ فى الاستعداد للصيف القادم منذ ان ينتهى الصيف الحالى . كنت اضع كل شهر جنيهين فى «حصالة» زينب، وجنيهين فى «حصالة» عمرو وأفهمهما ان حصالة كل منهما لن تفتح الا فى الصيف.. وعودتهما ان يشتركا بأنفسهما فى عملية «التحويش» هذه، فكان كل منهما يضع فى الحصالة ما يفيض عن مصروفه، وما يفيض عن «عيدية» العيد التى يعطيها لهما جدهما وجدتهما وبقية افراد العائلة.. وكنت فى الوقت نفسه احتفظ «بحصالة» لنفسى، اضع فيها ما أوفره من ميزانية البيت، وما يفيض من يدى.. ثم كنت احتفظ بدفتر توفير - غير الحصالة - اضع فيه كل شهر اقصى ما يمكننى تدبيره.

وكل ذلك من أجل الصيف..

إن مصاريف الصيف كثيرة، وأنا افضل «البحبحة» فى الصيف حتى تتم متعة الاجازة.

وكنت أذهب إلى الاسكندرية وحدى مع الاولاد، بينما يأتى

إلينا أحمد كل اسبوع لقضاء «الويك اند» بعد ان ألغى اجازته السنوية واصبحت قاصرة على خمسة عشر يوما كل عام، لكثرة أعماله.

وكنت في بادئ الأمر اتضايق واتردد كثيرا قبل أن أترك احمد وحده في القاهرة. وكان احمد من ناحيته يلح على ان اسافر مع الاولاد عندما يهل الصيف.. وكان إلحاحه هذا يضايقني، كان يخيل إليّ انه يريد ان يتخلص مني، فكنت اعاند، وأؤجل السفر اسبوعا بعد اسبوع ثم كنت اقول: «اما انني عبيطة.. ما تسافري وتنبسطي»!

وكنت أسافر على مضض، وكأنني اتحدى زوجي.. ولكنني لا البث ان اكتشف ان أحمد كان على حق، وأني كنت أنانية عندما اردت ان احرم الاولاد من بعض ايام الصيف.. ولم ألبث ان اكتشف ايضا اني كنت في حاجة فعلا الى ان ابتعد عن احمد بضعة ايام كل اسبوع.. ان نغير نظام حياتنا. وكان مجيئه الى الاسكندرية في «الويك اند» بعد غيبة إيام، بمثابة «فرح» جديد لي. بمثابة رد الروح الى شبابنا

●●●

لم يحدث أبداً ان تقدمت زوجي ونحن سائران في الطريق، بل دائماً اسير بجانبه، وكتفي يكاد يلتصق بكتفه، ثم إني لا أحب ان أرى زوجي يحمل لي مشترياتي.

والمرات التي خرجت فيها أنا وزوجي لنطوف بالمحال التجارية، مرات قليلة. وفي كل هذه المرات خرج معي زوجي رغم انفه ولمجرد ارضائي فهو لا يحب ان يطوف بالحوانيت، ويعتبر الرجل الذي يطوف بالحوانيت مع زوجته، رجل فاضي فارغ،

عـاطل. ولكني لم أكن أقـره على رأيه، وكـان زوج اخـتـى يخـرج معها دائما كلما ذهبت لتشتري لنفسها شيئا، وكان يشترك معها في انتقاء ثيابها واحذيتها وكل شيء.. بل كان يذهب معها الى الكوافير ثم يعود ليصحبها الى البيت.

وكنت في بدء زواجي أعتقد أن زوج أختي هو الزوج المثالي.. فـحـاولت ان يكون أحـمـد مـثله.. أن يصـحـبني الى الصـالون الاخضر وهانو وسعيد الجزمجي.. ولكنه رفض.. رفض بشدة، ولكني الححت واخذت ألح حتى رضي اخيرا ان يصحبني الى الحوانيت.

وكنت فخورة وأنا أسير بجانبه كأني أتباهى به.. وكنت ادخل كل مـحل مـرفوعة الرأس منتـفـخة الاوداج ـ كما في القصص ـ كأني جئت لاعرض عليهم زوجي.

ولاشك ان وجود الزوج مع الزوجة يمنحها الثقة والتباهي.. ويشعرها انها انسان كامل.

ولكني بعـد ربع ساعة فـقط، وبعد أن دخلنا أول مـحل، بدأت اندم على مصـاحبة احمد لي.. كان قد بدأ يبدو عصبيا، وكان كأنه مـحرج.. كأنه يركب في عربة الحريم بالترام، وبدأ يهمس في اذني بين كل دقـيقـة واخـرى «ياللا بأه ياللا بأه» وكنت كلمـا استشرته في شيء قال في عجلة: «كويس.. كويس خالص» واذا أتعبت البائع قليلا، زادت عصبيته، ونظر إليه ـ الى البائع ـ كأنه يعتذر له عن قسوة زوجته، وعندما ابدأ في «الفصال» والمساومة، يدير وجهه عني، كأنه يخجل مني ومن تصرفاتي.

كاد يصـرخ في وجهي، عندما دخلت احد الدكاكين، وقلبت مـجموعة كبيرة من الاقمشة، ثم لم اشتر شيئا. وقطعا إن البائع

لم يغضب ولم يحتج وخصوصا انى زبونة قديمة فى المحل، ولكن زوجى جن.. ثم صمم على ان يشترى شيئا، ونظر إلىّ كأنه سيقتلنى، إذا لم أشتر شيئا، واضطررت فعلا ان اشترى «مترين شريط» لم اكن فى حاجة إليهما.

وكانت هذه هى اخر مرة اخرج فيها مع زوجى للطواف بالمحال التجارية.. واصبحت دائما اشترى.. بل وصل الحد إلى انى اصبحت أشترى له قمصانه وحلله دون ان يكون معى ودون ان يبدى رأيه . فقد كان من مبادئه ان الزوجة هى المسئولة عن وجاهة زوجها.

●●●

هل حدثتكم عن الاجازات الزوجية؟!

لقد بدأت الاجازات الزوجية فى حياتى بالصدفة.. وكان ذلك بعد خمس سنوات من زواجى.. لم يكن حبنا قد خفت ولم يدخل فى حياتنا ملل، ولكن حياتنا كانت قد انتظمت فى روتين معروف، خال من المفاجآت ومن الهزات.

ثم فجأة اضطر أحمد أن يسافر الى اوروبا لمدة شهر فى مهمة خاصة وفى نفس الوقت الذى سمعت فيه بخبر هذه البعثة احسست بقيمة احمد فى حياتى كما لم أحسها من قبل، احسست انى لن استطيع ان اعيش اذا تركنى وسافر الى اوروبا ولو لشهر واحد.. أحسست بقلبى يضطرب ويكاد ينخلع من مكانه.

واخفيت الكثير من شعورى، فقد كان أحمد فرحا بهذا السفر، وكانت فرحته تغيظنى.. كان يخيل إلىّ انه سعيد لانه سيتخلص منى.. ولكنى رغم ذلك حاولت ان أبدو وكأنى أشاركه

الفرحة.. وربما كنت فرحة فعلا نوعا ما، فهذه البعثة كانت خطوة كبيرة في مستقبله.

وقضينا أياما أعده للسفر.. وكنت انتظر منه في هذه الايام انه سيتألم لفراقي وسيعطيني حنانا اكثر مما عودني واقبالا اكثر.. ولكنه في هذه الايام كان بعيدا عني كأنه سافر فعلا.. كان «سرحان» دائما، وكانت لهفته على السفر قد اخذته منى تماما.

وسافر.. ولم أودعه في المطار، فقد كره أحمد ان يكون وداعنا امام زملائه المسافرين معه.. ودعته في البيت. ولم أبك. بل لم اقبله كما كنت اتخيل قبلة الوداع.. بل قبلته قبلة سرحانة، ووضعت في جيبه «مصحفا» صغيرا.. ودعوت له بالسلامة.. ثم قلنا نحن الاثنين كلاما لا معنى له.. مجرد كلمات مجاملة. ثم أدار ظهره وخرج.. وبمجرد أن خرج بكيت.. بكيت كثيرا.

وبمجرد ان سافر أحمد احسست ان حياتي كلها فراغ.. لم اعد اجد شيئا اعمله واشغل به وقتي. لم اكن اعتقد ان أحمد هو كل شيء في حياتي.. لم اكن اعتقد ان مجرد انتظاره حتى يعود من عمله يشغل حياتي إلى هذا الحد.

ومرت الايام مملة.. اصبحت اتناول غدائي في الساعة الواحدة بدلا من الساعة الثانية والنصف، فلم يعد هناك من انتظره، وكنت أتناوله بلا «نفس» وأعده بلا اهتمام.. اخرج كثيرا، بلا «نفس» ايضا.

كان كل ما يملأ حياتي هو انتظار خطاباته. ومرت ايام طويلة قبل ان يرسل شيئا.. ثم بعد سبعة ايام استلمت منه بطاقة عليها كلمة واحدة «وحشتيني».. وكدت أجن.. تمنيت لو كان امامي لأخدش وجهه. ولكني بعد ان هدأت بدأت أتلمس له الأعذار..

لابد انه مشغول.. والمسافر عذره معه..

وجلست أكتب له خطابا طويلا طويلا جدا.. وبعد أيام، جاءني الرد.. رد قصير جدا!! وايضا التمست له الأعذار وقلت لنفسي مرة ثانية. المسافر عذره معه..

ثم عاد..

●●●

كان قد انقضى شهر وسبعة ايام على سفر زوجي إلى أوروبا، عندما جاءتني منه برقية يبلغني انه سيعود إليَّ بعد ثلاثة أيام..

ورفرف قلبي وأنا أقرأ البرقية، كأني فتاة صغيرة ستلتقي لأول مرة بأول رجل في حياتها.

وبدأت استعد للقائه.. وخيل الى أن الأيام الثلاثة لا تكفي لأعد نفسي اليه.. كنت اشعر كأني عروس مقبلة على ليلة زفافها. أحسست بكل ما تشعر به العروس . اللهفة، والفرحة، واللخمة . بل أحسست بالخوف ايضا خوف العروس من الليلة الأولى.

واستعددت بكل ما تستعد به العرائس.. حتى اني اشتريت لنفسي قميص نوم جديدا!! وقلبت البيت كله رأسا على عقب، كأني أفرشه من جديد، واحترت ماذا اوصي الطباخ ليعده من طعام في يوم العودة..

ولم أنم.. لم أنم ثلاثة ايام . وخفت ان يكون الأرق قد ترك آثاره على وجهي فذهبت الى مدام «بالوك» لتجري لي عملية مساج وتنشيط في بشرتي.. وخرجت من عندها الى الكوافير..

و..

وجاء يوم العودة..

ولم أطق ان أنتظره فى البيت كما كان يوصينى فى خطاباته، فذهبت الى المطار . واكتشفت انى ذهبت قبل موعد وصول الطائرة بساعة كاملة.. وخفت أن يفسد الانتظار من زينتى، فكنت أدخل كل ربع ساعة وأقف امام المرآة .

واخيرا وصلت الطائرة.. وقلبى يخفق.. ورأيته ينزل منها وهو يتلفت حواليه كأنه يبحث عنى.. وعندما رآنى انفرجت كل أساريره كأن كل قطعة منه تقفز نحوى

وحاولت كثيرا أن احتفظ بهدوئى امام الناس وامام زملائه.. فتقدمت اليه بخطى بطيئة، ثم لم استطع فجريت إليه وألقيت نفسى بين أحضانه. وانا اكاد من فرحتى ابكى . بينما زملاؤه ينظرون إلينا ويبتسمون ابتسامات طيبة حلوة.

وقبلنى احمد ثم احس بوجودنا فى المطار، فقاوم نفسه حتى لا يقبلنى اكثر..

وقال لى ونحن فى الجمرك انه كان يتمنى طول الطريق ان يجدنى فى انتظاره رغم انه طلب منى فى خطابه ألا انتظره، فى المطار..

وتعجلنا اجراءات الجمرك، وقد خيل إلينا انها طالت حتى اتت على عمرنا كله.. ثم هرعنا الى البيت.. وطول الطريق ويدى فى يده، ورأسى على كتفه .

ولم ننتظر ان ندخل الى حجرتنا، بل ما كدنا نخطو داخل البيت حتى اخذنى احمد بين احضانه وضغط على بقوة كأنه يريد ان يشق صدره ويدخلنى فيه. ولخبط ما صنعه الكوافير!!

وجاء الاولاد فلم يجدوا لهم مكانا بيننا . الى ان التفت اليهم

احمد وحملهما بين ذراعيه، فرحا بهما كأنه غاب عنهما سنين طويلة..

وبدأنا فى فتح الحقائب ليخرج لعمرو وزيزت ما حمله لهما من هدايا.. ثم اغلق الحقائب قبل ان يعطينى هديتى، وأخرج الأولاد، واغلق الباب.. كان أعز هدية حملها إلى، هى نفسه.. زوجى!

وقضينا اسبوعا كأنه شهر العسل . كان لا يشبع منى.. وكان يقص علىّ ذكرياته فى اوروبا، وكأنى أسمع تاريخ حياته لأول مرة.. تاريخ حياة حبيب جديد.

وكانت هذه اول تجربة لى فى الاجازات الزوجية، واصبحت اكررها كل عام دون ان أبدى أنى اتعمدها. انما كنت ابحث عن وسيلة ليسافر بها احمد او ان أسافر أنا وحدى الى الاسكندرية. لنشعر فى فراقنا باللهفة والشوق، ثم نشعر بحلاوة اللقاء..

●●●

لقد كنت اكتب لكم عنى «أنا وزوجى»، واعتقد أنى كتبت ما فيه الكفاية . وما بقى لا استطيع أن أكتبه، فأنى كزوجة استطيع ان اضع تقاليد ونظما لكثير من نواحى حياتى الزوجية، ولكن ليس لكل النواحى . وفى حياة كل الزوجات اشياء لا يمكن ان تحكمها حلول ثابتة، بل يتصرفن حيالها بوحى الخاطر.. كل زوجة حسب ذكائها!

وفكرت أن أكتب عنى «انا والناس»!

ان الزوج يعيش معك فى البيت الصغير.. والناس يعيشون معك فى البيت الكبير.. والتى تستطيع ان تكون سعيدة فى بيتها

الصغير، تستطيع أن تكون سعيدة فى البيت الكبير..

واكثر من ذلك.. إنك لن تستطيعى ابدا ان تكونى سعيدة مع الناس، ان لم تكونى سعيدة مع ز وجك.. والعكس.. لن تكونى سعيدة مع زوجك إن لم تكونى سعيدة مع الناس.. إن زوجك فى بعض نواحى علاقته بك هو مجرد واحد من الناس.. فإذا تعلمت فن معاملة الناس، تعلمت ايضا فن معاملة زوجك..

فن المناقشة مثلا.. إنك محتاجة الى مناقشة الناس، كما إنك محتاجة الى مناقشة زوجك.. وآراؤك فى الافلام السينمائية التى تقولينها لزوجك، هى نفسها الآراء التى تقولينها للناس، فإذا استطعت ان تكون لك آراء ناضجة، وان تسرديها بأسلوب ممتع ليس فيه حدة ولا تحد، كسبت إعجاب الناس واعجاب زوجك!

هذا هو رأيى..

وأول ما يصادفنى فى معاملة الناس هو ما نسميه النفاق!
وقد أردت ان أعرف: هل انا منافقة؟

ومن عادتيأان أسكت عن اشياء كثيرة لا تعجبنى، فهل هذا السكون يعتبر نفاقا!!

لا أظن..

إنى دائما أسأل نفسى قبل ان اقول رأيى: ماذا ستكون نتيجة ابداء هذا الرأى؟ فاذا كان نفعه اكثر من ضرره، قلته.. واذا كان ضرره اكثر من نفعه، سكت!!

ولى صديقة تعودت أن تقول آراءها بصراحة وبانطلاق مهما كانت نتيجة هذا الرأى، وتقابلت مرة مع صديقة اخرى، وما كادت ترفع عينيها اليها حتى صرخت فيها: «ايه الفستان اللى انتى لابساه ده. الحقيقة انه وحش خالص.. و..و... » فماذا

كانت النتيجة؟

اتهمت صاحبة الفستان صديقتى بأنها تغار منها، واتهمتها بقلة الأدب، ولم تقتنع برأيها، ثم بدأت هى الأخرى تشهر بذوقها فى اختيار ثيابها!

وأعترف ان الثوب الذى انتقدته صديقتى كان «وحش خالص» . ولكنى لو كنت مكانها لما قلت رأيى لأن مثل هذا الرأى لن يؤدى إلى نتيجة، بل يؤدى الى نتيجة عكسية..

لو كنت مكان صديقتى، وكنت فعلا مخلصة لصاحبة الثوب، لانتظرت مناسبة قريبة، وبدأت أعرض عليها ألوانا أخرى من الثياب، سواء فى كتالوج، او من ثيابى الخاصة . دون ان اشير الى ثوبها او إلى ذوقها، ثم اتركها تقارن بين ما اعرضه عليها وبين ما اختارته لنفسها.. ولا شك انى سأنتهى الى نفس النتيجة التى ارادتها صديقتى، وهى اقناع صاحبة الثوب بان ثوبها «وحش خالص»!

فقيمة الرأى، ليست فى الرأى ذاته فقط، بل فى طريقة ابدائه بحيث تقنع به الناس..

وهذا ليس نفاقا .

ولكنه فن..

وهو فن يحتاج إلى أعصاب قوية.. ويحتاج إلى الاحساس بان كل واحدة منا محتاجة الى صداقة كل الناس، إلا اذا قررت ان بعض الناس لا يستحقون صداقتها..

ورغم ذلك فأنا نفسى أفقد اعصابى احيانا واقول آراء كنت فى غنى عنها . وآخر مرة فقدت فيها اعصابى كانت منذ ايام فى النادى الاهلى..

●●●

انكم تعلمــون أنى وزوجى واولادى، اعــضــاء فى النادى الاهلى..

والنادى الاهلى يضم مجتمعا مصريا خالصا. ويضم كل خيرة المجتمع المصرى، وما يترتب على هذه الخيرة من عيوب واخطاء..

وقد عودت نفسى منذ التحقت بالنادى، على ان احتمل اخطاء مجتمعه. انها اخطاء تعودناها فى بيوتنا، وفى الشارع، وبين اصدقائنا.. وبلغ من تعودنا عليها اننا اعترفنا بها كحقيقة فى حياتنا، ولم نعد نناقشها.

ولكن كان هنا خطأ واحد فى مجتمع النادى يثير أعصابى، ولم أتمكن ابدا من تجاهله.. واذا ذكرت لكم هذا الخطأ الآن، فلأنى أصر على اصلاحه. لا لأنى اريد التشهير بالنادى الذى احبه واحترمه واطمئن فيه على ولدى وابنتى. وانما فقط لأنى مصرة على الاصلاح.

ان بين النادى الاهلى فريقا من الرجال المحترمين - واقصد انهم فعلا محترمون - يواظبون على الحضور يوميا، ولكنهم لا يصـــحـــبـــون مـــعـــهم أبدا زوجـاتهم أو بناتهم أو أمـــهـاتهم أو شقيقاتهم.. انهم يحضرون بلا نساء وعذرهم انهم متمسكون بالتقاليد القديمة التى لا تسمح «لحريمهم» بالتردد على النادى..

والعذر مقبول، اذا افترضنا ان عقلية هؤلاء الاعضاء عقلية رجعية.

ولكن هذه العقلية التى تفرض نفسها على «الحريم» لا تفرض نفسها على نفسها .. فإن أصحابها يأتون الى النادى ثم يبيحون

لأنفسهم أن يجلسوا مع زوجات الآخرين، وشقيقات الآخرين ، وبنات الآخرين.. بل ان بعضهم يشترك ايضا فى حفلات الرقص التى يقيمها بعض شباب النادى..

ولم أكن أحتمل..

لم اكن احتمل ان ارى واحدا منهم يجلس مع زوجة صديقه، ثم يمنع زوجته من ان تجلس مع نفس الصديق..

. إنه يؤمن بأن زوجته – لأنها شريفة وعريقة – لايجب ان تأتى الى النادى .. فماذا يعتقد فى زوجة صديقه ؟ اذا كان يعتقد انها ايضا شريفة وعريقة فلماذا لايحتج لدى صديقه على حضورها الى النادى؟ .. ولماذا لايطلب الى ادارة النادى ان تمنع عضوية النساء والبنات؟ وكيف يبيح لنفسه من الحقوق على زوجة صديقه، مالا يبيحه من حقوق لصديقه على زوجته ؟!

كان هذا الوضع يثيرنى.. وكلما فكرت فيه ركبتنى العفاريت .. ولم افكر طبعا فى أن امتنع عن التردد على النادى، ولا ان امنع بقية السيدات من التردد عليه احتجاجا على وجود هؤلاء الاعضاء.

ولكنى فكرت فى أن اطلب من ادارة النادى ان تخصص مكانا قصيا من النادى لكل عضو لايصحب زوجته معه، او لايسمح لها بالتردد على النادى .. وان يحاط هذا المكان بالستائر الكثيفة، حتى لايتمتع هولاء الاعضاء برؤية زوجات الآخرين، كما أن الآخرين لا يتمتعون برؤية زوجاتهم .. وكفاهم ان يتمتعوا برؤية بعضهم البعض .. بعيدا .. كالمنبوذين .. الى ان يؤمنوا برسالة النوادى الاجتماعية..

وطبعا لم أتقدم بهذا الاقتراح، ولكن حدث ان جاء واحد

منهم، وجلس على مائدتنا.. فلم استطع ان احكم لسانى فقلت :

- امال فين المدام ؟!

واحمر وجهه، وتلجلج لسانه ثم قال وهو لايستطيع أن ينظر إلىّ:

- والله احنا ناس فلاحين ياهانم .. ستتنا ماتعرفش تيجى النادى!

قلت وأنا أنظر اليه فى تحد :

احنا كمان فلاحين .. واجوازنا علمونا ازاى نيجى النادى!!

وتدخل زوجى ليغير الموضوع، فقد كان يعرف ثورتى .. ولكنى انتظرت الى ان قام العضو المحترم لينصرف من على مائدتنا، فقلت له وأنا ابتسم كأنى امزح :

- الدور الجاى مش حانقعدك معانا إلا والمدام معاك!!

ولم تأت «المدام» أبدا الى النادى .. ولم يجلس معنا ابدا من يومها !

والحمد لله .. ان عدد هؤلاء الاعضاء قلة فى النادى لا تشوه جماله..

●●●

أشد مايحيرنى فى معاملة الناس، هى معاملة الرجل الأعزب!

أين مكانه فى مجتمع يضم أزواجا وزوجات؟

إنها مشكلة ، لابد ان كل زوجة عانت منها وفكرت فيها..

فإذا ذهبت الى السينما انا وزوجى مثلا ، فهل يصح ان ندعو معنا صديقا اعزب؟

وإذا دعوناه .. هل ندعوه وحده، ام ندعو معه صديقة ليست

متزوجة، حتى يكتمل لنا المظهر الاجتماعي الصحيح؟

واذا دعونا معه آنسة او سيدة ليست متزوجة ، فهل نتحمل نحن كلام الناس عندما يرون معنا صديقا اعزب، وصديقة ليس لها زوج .

إن الناس قد تعتقد أن هناك مشروع زواج ، وقد تعتقد ان بينهما حبا .. وقد .. وقد.. ولن يكف الناس عن الكلام وسيبتكرون الف حكاية وحكاية .. فما ذنبنا نحن لنتحمل مسئولية هذا الكلام؟!

واذا لم ادع صديقنا الاعزب الى السينما، وإنما دعوناه الى الغداء مع فريق من الاصدقاء وزوجاتهم .. فأين أضعه على المائدة ؟! هل اضعه بجانب احدى الزوجات واترك أحد الازواج وليس بجانبه سيدة ؟! ام أضعه بجانبي – على يميني – تكريما له وتخفيفا عن مصابه في وحدته؟! ام اضطر ان ادعو سيدة ليس لها زوج أو آنسة ليتم الوضع الحسابي للبروتوكول الاجتماعي؟

إنها حيرة كبيرة يسببها الرجل الاعزب..

وهي حيرة يتسبب عنها كثير من المصائب .. وانا اعرف سيدات – من افضل الزوجات – لاكت سمعتهن المجالس، وتحدث عنهن الناس حديثا وقحا، لا لشيء إلا لأن لأزواجهن أصدقاء «عزاب» يصاحبونهم باستمرار. ويبدون معهم في كل مجتمع، ومعهم – مع الأزواج – زوجاتهم..

وانا أثور على هذه الاحاديث والشائعات .. ولكن هذه هي حال مجتمعنا!!

وقد تعودت أن أخالف المجتمع في كثير من تقاليده.. وتعودت

ألا اهتم بكلام الناس، إلا فـيـمـا يمكن أن يؤثر على مـركـزى الاجتماعي وحياتى الزوجية .. ولكنى رغم ذلك، حسبت حسابا كبيرا لاختلاط الاصدقاء العزاب بنا.

وقد قررت فيما بينى وبين نفسى، الا أدعو «العزاب» الى بيتنا الا فى الحفلات الكبيرة التى يزيد عدد المدعوين اليها على عشرة.. حتى يذوبوا فى هذا المجتمع الكبير ولا يبدو وضعهم الشاذ..

أما إذا أراد زوجي ان يدعو صديقا اعزب، أو بضعة اصدقاء عزاب الى البيت.. فاني اكتفى بأن أحييهم وأرحب بهم بصفتى سيدة البيت. ثم اجلس معهم قليلا الى أن تقدم القهوة او الشيكولاتة، ثم انسحب واترك الجلسة خالصة للرجال .

وقد حرصت ألا يكون لى – أنا وزوجي – صديق أعزب – «أنتيم» – اى صديق يدخل البيت لا تكليف.. فاذا كان لزوجى صديق أعزب «انتيم» فإني اتركه يخرج معه وحده، فى غير الأوقات التى نخرج فيها معاً..

ولم تؤثر هذه «القرارات» فى صداقة الرجال العزاب لنا.. بالعكس خيل الى أنهم ازدادوا احتراما لى.. ورغم ذلك فهناك سيدات كثيرات يخالفننى فى مسلكى، ويتهمنى بأننى متزمتة، وانى «ازودها حبتين»

فما رأيكم؟..

●●●

لا تندهشوا عندما أقول لكم انى مازلت مؤمنة بنظام «المقابلة» اى يوم «الاستقبال»!

كانت والدتي ـ عندما كنت صغيرة ـ تحدد يوما كل اسبوع

يزورها فيه صديقاتها يسمى يوم «المقابلة».. وكانت كل جاراتنا تفعل مثلها.. وبعضهن كن يحددن يوما واحدا فى الشهر او يومين.. واذكر ان يوم مقابلة والدتى كان دائما يوم الاثنين.. اما خالتى فكانت تحدد لمقابلتها يوم الأربعاء من كل شهر..

وقد أهملت والدتى نظام المقابلة.. وكذلك فعلت كل جاراتنا.. وانقضى عهد هذا التقليد الجميل.. لا أدرى لماذا؟! ربما لان المجتمعات لم تعد قاصرة على النساء، وربما لان النوادى والجمعيات والسينمات والمطاعم سرقت من البيوت ندواتها النسائية.. سرقت «نظام المقابلة»!

ولكنى أعدت هذا النظام فى بيتى، وحددت يوم الاثنين من كل اسبوع - نفس اليوم الذى كانت تختاره والدتى - لتزورنى فيه صديقاتى، وكلهن الآن يعلمن أنى فى هذا اليوم أكون دائما فى البيت ابتداء من الساعة الرابعة مساء ولا أخرج منه.. وأكون ايضا مستعدة لاستقبالهن.

.. وأول مظاهر هذا الاستعداد هو أن امنح زوجى احمد اجازة منى!

وقد قررت لنفسى هذا النظام بعد ان لاحظت الملاحظات الآتية:

● فى كل المجتمعات المختلطة اجد ان السيدات - بلا تعمد منهن - ينفصلن عن الرجال.. كل طائفة تجلس فى ناحية، وكل طائفة تتحدث فى مواضيع لا تهم الطائفة الأخرى.. فلماذا لا تجتمع السيدات فى يوم خاص بهن، ليكن اكثر حرية.. وحتى يقلن كل ما عندهن، وبعدها يشتقن للرجال، فاذا اجتمعن بهم لم ينفصلن عنهم..

● كثيرات من صديقاتى يعرضن زيارتى فى أيام أكون فيها استعد للخروج.. ثم انهن لا يجئن فى يوم واحد، بل كل منهن تجىء فى يوم.. ومعنى ذلك أنى لو أردت أن أستقبل كل صديقاتى فلن أخرج من البيت أبدا.. فلماذا لا احدد يوما معينا أستقبلهن فيه وأنتهى!

● النوادى والمجتمعات المختلطة لا تحقق الغرض من «المقابلة»! فان مجتمع السيدات الخالص له لذته وله تقاليده التى لا يمكن ان توجد فى المجتمع الآخر.. مثلا اذا أرادت صديقتى أن ترينى جوربها هل تفعل ذلك أمام الرجال.. مش معقول!

● انى فى هذا اليوم أستعد فعلا لاستقبال صديقاتى.. فأعد لهن الجلاش والشيكولاتة، وأستعد لأعرض عليهن كل جديد اشتريته.. وهو مالا استطيع أن افعله كل يوم..

لهذه الأسباب قررت أن اعود إلى نظام المقابلة..

فهل توافقننى؟!

وهل تفعلن مثلى؟!

●●●

أريد أن أحدثكم عن الرقص.. الرقص الافرنجى!

وانا أعلم ان هذا الموضوع سيثير غضب فريق كبير من الناس الذين يعتقدون ان الرقص عيب... وكفر.. ورجس من عمل الشيطان!

ولكننا لم نعد نستطيع أن نتجاهل الرقص.. لقد أصبح حقيقة واقعة فى حياتنا الاجتماعية.. واولادنا يرقصون.. وبناتنا يرقصن.. وكل القصص المصرية والافلام المصرية تصور

مشاهد الرقص.. وموسيقانا نفسها اصبحت تانجو، وروميا، وساميا.. وروك أندرول.. وسيأتي قريبا اليوم الذى يقف فيه عبدالحليم حافى يغنى، والناس يرقصون.. تماما كفرانك سيناترا، وبنج كروسبى..

فما هى تقاليد الرقص؟!

ومع من نسمح للبنت او للزوجة ان ترقص؟!

لقد كنت وانا فتاة – قبل أن أتزوج – لا يسمح لى بالرقص إلا مع عدد قليل جدا من شبان العائلة.. أخى، وزوج أختى، وابن عمى.. وفى حضور أمى، وطنط، وباقى عجائز العائلة.. ولم يكن هذا يحدث إلا مرات نادرة، وفى مناسبات خاصة.. اما باقى الايام.. فكنت ارقص مع صديقاتى.. وأرقص احيانا «كفاليية» واحيانا «دام» واعتقد ان كل البنات يرقصن مع بعض.. فى البيوت، وفى عنابر الداخلية.. سواء برضاء العائلة او بغير رضائها.. وهن يرقصن بعضهن مع بعض فى انتظار اليوم الذى يستطعن ان يرقصن فيه مع الرجال..

وبعد أن تزوجت قرر زوجى ألا نرقص، لا أنا ولا هو، رغم انه يستطيع ان يرقص واحيانا يحب ان يرقص.. وهو قرار يصدره كل زوج فى الشهور الأولى من الزواج، وهو لا يزال «زوج جديد حمش».. ولكن هذا القرار لا يلبث ان يفتر ويفقد قوته على مر الشهور.. ويبدأ كل زوج يرقص مع زوجته.. وقد دفعتنا المناسبات والظروف الاجتماعية الى ان ارقص مع زوجى.. ثم بدأنا نضع «لستة» او قائمة بأنواع الرجال الذين اسمح لنفسى بان أرقص معهم.

وكان الشرط الأساسى فى الاختيار هو ان يكون الرجل ذا

عقلية تسمح له بان يحترم الرقص، ويفهمه على حقيقته.. وحقيقة الرقص هو أنه موسيقى، ورياضة، وتسلية بريئة. فالرجل الذى لا يهتم بالموسيقى، ولا يعتبر الرقص رياضة، ومجرد تسلية بريئة لا يصح الرقص معه..

ولا يصح أن أرقص أيضا مع رجل لا يسمح لزوجته وبناته بالرقص لأن معنى هذا أنه لا يفهم الرقص، وانه يعتبره عيبا، فلا يصح أن يرتكب هذا العيب مع سيدة أخرى..

كما لا يصح أيضا أن أرقص مع رجل غريب، لا أعرفه، ولا أعرف زوجته وعائلته كلها..

وعندما ترقص السيدة، فيجب أن تعلم أنها المسئولة عن سلوكها أثناء الرقص وعن سلوك الرجل الذى يراقصها.. وقد رأيت سيدات كثيرات يبالغن فى حركات الرقص، ورأيت سيدات يبالغن فى الاستسلام للرجل فتلقى الواحدة بنفسها فى صدره، وتسمح لخدها بأن يلامس خده.. وكل هذا ليس من تقاليد الرقص، حتى فى أوروبا نفسها.. يجب ان تراعى السيدة اثناء الرقص، اتزان خطواتها وحركاتها.. ويجب أن نفرق بين رقص فتاة لم تبلغ العشرين، ورقص سيدة متزوجة سواء تعدت العشرين أم لم تتعدها.. ويجب ان تحتفظ السيدة – والفتاة – دائما بمسافة معقولة تفصلها عن الرجل.. ولكى تضمن الابقاء على هذه المسافة يجب الا تلقى ذراعها كله فوق كتفه بل تكتفى بأن تلمس كتفه بكفها، وتترك ذراعها يفصل بينه وبينها.. ثم يجب ألا ترقص السيدة أو الفتاة مع رجل واحد طوال السهرة، أو ترقص مرتين متتاليتين بل يجب ان ترقص مع كل الرجال المحيطين بها، حتى لا يفهم الرقص على غير معناه..

هذه هى بعض تقاليد الرقص - لا كلها - وخير لنا ان نضع للرقص تقاليد، بدل ان نتجاهله.. فإنى لن استطيع ان امنع ابنتى من الرقص، ولكنى استطيع ان اعلمها.. ما هو الرقص!

●●●

إن الحديث متعة.. متعة كبيرة..

والاستماع متعة.. متعة كبيرة أيضا!

ولكن أغلب الناس لا يتذوقون هاتين المتعتين.. أو لا يدرون كيف يتذوقونها.. وفى كل الاجتماعات أو «الزيارات» تجد الناس يتحدثون ويستمعون فى وقت واحد.. فيفقدون لذة الحديث ولذة الاستماع..

وفى معظم «الزيارات» تجد كل اثنين من المدعوين يتحدثان فى موضوع على حدة.. فإذا كان هناك عشرة مدعوين، تجد أن هناك خمسة مواضيع - على الأقل - تبحث فى وقت واحد..

والحديث الممتع ليس هو الحديث الذى يدور حول سيرة الناس، وليس هو الحديث الذى يثير الضحكات وتتخلله نكات مفتعلة، وخفة دم متعمدة.. أبدا.. إن الحديث الممتع هو الذى يدور حول موضوع يهم السامعين.. ولباقة المتحدث هى فى اختيار هذا الموضوع!

والمسئولة عن كل هذا هى ست البيت أو صاحبة الدعوة..

فست البيت مسئولة أولا عن اختيار مدعويها بحيث لا يكون بينهم تنافر.. فلا تدعو واحدا من الغرب، وواحدا من الشرق.. بل يجب أن يكون بينهم رابط.. إما معرفة سابقة، أو اهتمام متبادل بمعرفة بعضهم بعضا، أو مزاج مشترك..

وست البيت مسئولة عن إدارة دفة الحديث.. فلا تترك الحديث يفتر، أو يتعدد. وليس معنى هذا أن تتولى هى الحديث كله.. بل يكفى دائما ان تثير موضوعا وتترك مدعويها يتناقشون فيه..

وأنا أحاول دائما أن أعرف أى الكتب قرأها اصدقائى، وأى الأفلام شاهدوها، وأى الرحلات قاموا بها، قبل أن أدعوهم.. ثم انتهز فرصة دعوتهم وأطلب من أحدهم - بطريقة تبدو غير متعمدة - أن يروى لنا الكتاب الذى قرأه اخيرا، أو قصة الفيلم الذى شاهده، أو ذكرياته عن الرحلة التى قام بها..

وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير.. وأصبحت كل صديقاتى يفعلن نفس الشىء.. واصبحنا نقضى أمسيات ممتعة نسمع فيها حديثا عن الديانة البوذية مثلا، أو عن القنبلة الذرية، او عن تفسير القرآن.. الخ.

ولم تكن هذه الأحاديث تلقى علينا بشكل محاضرات.. بل كانت تلقى بشكل بسيط تتخلله المناقشات، والتعليقات الخفيفة..

وأصبحت زياراتنا التى تجمع بين الزوجات والأزواج، زيارات مفيدة بقدر ما هى مسلية..

واكتشفنا جميعا متعة الحديث.. ومتعة الاستماع..

●●●

أريد أن احدثكم عن.. الديك الرومى!

لم أحضر دعوة إلى الغداء أو العشاء إلا وجدت على المائدة.. ديكا روميا!

لماذا؟

ما قيمة هذا الديك الرومى؟

ولماذا يكون الديك الرومى شعارا لتكريم الضيوف؟!

من أين استوردنا هذه العادة؟

لا أظن أن حاتم الطائى أو الخلفاء الراشدين كانوا يذبحون لضيوفهم ديكا روميا!!

وأنا شخصيا لا أحب لحم الديك الرومى، وأفضل عليه الفراخ.. والحمام.. والموزة. واعتقد ان معظم الناس مثلى.. ولكنهم فقط يتظاهرون بتفضيل الديك الرومى حتى لا يتهموا بالتواضع. ولا يتهموا بأنهم لم يتعودوا أكله!

والديك الرومى دائما تعقبه مشكلة فى تقطيعه وتوزيعه للضيوف.. اذا قطعناه بالشوكة والسكين استغرقنا وقتا طويلا، وقد نتهم بالقنزحة.. واذا قطعناه او مزقناه بأيدينا كان منظرنا ومنظره لا يسر الناظرين.. وربما كان هذا هو السبب الذى جعل من تقاليد الديك ان يقوم بتقسيمه وتوزيعه الرجال.. لا السيدات.. لأنه ديك.. ولأنه يحتاج إلى مصارع حتى يخضع له!!

ومنذ أن بدأت حالتنا المالية تسمح بإقامة المآدب، ودعوة الأصدقاء الى الغداء او العشاء، قررت بينى وبين نفسى ألا أقدم الديك الرومى على مائدتى ابدا.. والا اقدم الحمام ايضا.. لأن الحمام اذا قدمته مشويا اتعبت الضيوف في أكله سواء أكلوه بالشوكة والسكين أو أكلوه بأصابعهم.. واذا قدمته على طريقة «الحمام المخلى» اتعبت نفسى لأنه يحتاج فى إعداده الى دوشة دماغ.. والحمام لا يكون لذيذا الا اذا أكلناه بالراحة.. اى عندما نجتمع على المائدة وليس معنا غريب من الضيوف..

إنما أقدم على مائدتى دائما.. الفراخ.. واصناف اللحوم

المتعددة.

ومهما كانت أهمية المأدبة التى اقدمها فإنى لا اقدم أبدا على مائدتى أكثر من ثلاثة اصناف أو اربعة على الاكثر.. والجهد الذى ابذله هو - كما سبق ان قلت - إجادة إعداد هذه الاصناف، وفى جمال تقديمها..

ولم ألحظ مرة أن ضيوفى قاموا من على المائدة جوعانين.. بالعكس. انهم يقومون فى منتهى الشبع، وكل منهم يتمنى أن يأكل صوابعه عقب كل طبق..

وفى كثير من المآدب الأخرى التى تزدحم بأصناف الطعام.. لاحظت ان الضيوف يقعون عادة فى حيرة، فهم لا يستطيعون ان يأكلوا من كل الأصناف وإلا أصيبوا بالتخمة.. وماتوا.. وفى الوقت نفسه لا يستطيعون ان يستقروا على صنف أو صنفين لأن عيونهم تكون زائغة على بقية الاصناف . وتنتهى هذه الحيرة بأن يبدأ الضيف فى تذوق كل صنف دون أن يتمتع به متعة كافية.. وتنتهى كذلك بأن يقع كثير من الضيوف ضحية اغراء كثرة الاصناف فيصابوا بالتعب بعد الأكل، ويغلب عليهم الكسل، ويتفرغوا لعملية الهضم ويكون الانتهاء من العشاء بمثابة الانتهاء من السهرة، فيعودوا إلى بيوتهم.. و «تبوظ» الدعوة.

وشىء آخر.

أنا لا «أعزم» أبدا ـ أثناء جلوسنا على المائدة ـ على الأكل.. أو على الشراب.. ولا ألح على أحد بأن يأكل أكثر مما يطيق أو يشرب على المائدة، وبعد ذلك فالضيوف أحرار.. لأنى أعتقد أن الأكل والشرب من أخص شئون الإنسان ولايجب ان يتدخل فيهما إنسان آخر.. كما إنى اعتقد ان عهد الخجل «والتعزز»

على المائدة قد انتهى.. وبدل أن يضيع الوقت فى «والنبى كمان الحتة دى».. و«الله لأنت واكل كمان».. «طيب عشان خاطرى دوق طاجن الفريك».. بدل كل هذا، استطيع أن أدير على المائدة حديثاً مسلياً خفيفاً، يفتح النفس.

●●●

ماذا نفعل إذا كان الزوج مشغولاً.. مشغولاً دائماً؟

هل تجلس الزوجة فى البيت، وحيدة حزينة، إلى أن ينتهى الزوج من عمله ويعود إليها؟

أم تخلق لنفسها دنيا خاصة تعيش فيها بلا زوج؟

إن هذه المشكلة لاتثار إلا إذا كان الزوج مشغولاً جداً.. وهو لايكون «مشغولاً جداً».. إلا إذا كان يعمل أكثر من عشر ساعات يومياً... فالزوج الذى يعمل فى الصباح، وفى فترة بعد الظهر حتى الساعة السابعة مساء لا يعتبر مشغولاً.. ولا يحق لزوجته أن تشكو أو أن تثير مشكلة.. ولكن هناك ازواجاً مشغولون حقاً.. أطباء وصحفيين.. وأصحاب شركات.. يعملون فى اليوم أكثر من عشر ساعات.. وأنا أعرف سيدة يستيقظ زوجها من النوم فى الساعة الثامنة ويخرج من البيت ليكون فى مكتب الساعة العاشرة، ثم يعود فى الساعة الثالثة بعد الظهر.. يأكل وينام حتى الساعة الخامسة والنصف، ثم يخرج إلى مكتبه مرة ثانية ولايعود إلا فى الساعة الثانية صباحاً!

ماذا تفعل مثل هذه الزوجة ومثيلاتها؟

بعض هؤلاء الزوجات اتفقن مع ازواجهن على أن تكون لهن حرية الخروج والذهاب إلى السينما والاشتراك فى الحفلات وحدهن.. بلا أزواج.. وهؤلاء الزوجات يبحثن عادة عن صديقات

متزوجات من رجال ليسوا «مشغولين جداً» ويخرجن معهن فى صحبة ازواجهن . ازواج الصديقات.

وأنا لا أوافق على هذا التصرف..

لا لأنى متزمتة، ولا لأنى رجعية . بل لأن المظهر نفسه لايعجبنى.. ولا أحب ان أظهر به.. فالزوجة عندما تذهب إلى السينما أو إلى حفلة، بلا زوجها، حتى لو كانت مع أخيها أو اصدقاء موثوق بهم.. تبدو كأنها خرجت بلا تواليت.. بلا زينة وبلا ستر . وتجد نفسها بين بقية الزوجات والازواج، لايصه ومايصه.. ولا طعم لها.. فهى لاتستطيع أن تتصرف تصرف الزوجة الكاملة لأن زوجها ليس معها. ولاتستطيع أن تتصرف تصرف سيدة بلا زوج، لأنها فعلاً متزوجة..

وقد جاء الوقت الذى أصبح فيه زوجى من هذا النوع المشغول.. واحترت ماذا أفعل.. وقررت فى مبدأ الأمر ان أبقى فى البيت ما دام زوجى باقياً فى مكتبه.. فهو يتعب من أجلى ومن أجل أولادى ويجب أن اشاركه فى تعبه.. ولكنى بعد عدة أيام لم استطع احتمال البيت، أن زوجى فى مكتبه يعمل ويقابل الناس، أما أنا فأنى وحيدة فى البيت. وفراغ كبير من حولى. خصوصاً الأولاد فى المدرسة.. وقررت أن املأ هذا الفراغ، فتعودت أن ادعو صديقاتى إلى حفلات بسيطة فى الصباح أو بعد الظهر.. للسيدات فقط.. وقررت ان اساهم فى أعمال جمعية تحسين الصحة.. الأعمال التى لاتطلب منى اللف والدوران على الناس.. وهذا بجانب أعمال البيت طبعاً . ورفضت فى الوقت نفسه أن أذهب إلى السينما أو إلى أى حفلة مختلطة وحدى. ولكنى اشترطت على زوجى ـ مهما كان مشغولاً ـ أن يخصص

يوماً فى الأسبوع ليأخذنى إلى السينما ثم نتناول عشاءنا فى الخارج ووافق زوجى!!

●●●

حرمت خلاص..

حرمت أن أتدخل فى شئون الناس حتى لو كانوا من أعز الأصدقاء، أو حتى لو كانوا من أفراد عائلتى..

واسمعوا سبب هذه التوبة التى أعلنتها..

منذ شهور خطبت ابنة بنت خالتى إلى شاب يشغل وظيفة وكيل نيابة فى إحدى مدن الصعيد. وهو عريس كامل رائع.. عقبال بنتى زيزت!

وبدأت العائلة كلها تهتم بجهاز العروس.. وبدأنا - نحن سيدات العائلة - نجتمع كل يوم لنقرر ما نشتريه..

وكان رأيى ألا نشترى شيئاً من الأثاث.

نشترى الثياب كاملة - وزيادة شوية - ونشترى الحلى، ولكن لا نشترى الاثاث كاملا فالعروسان سينتقلان بمجرد عقد القران إلى مقر عمل العريس فى الصعيد.. ولن يقيما هناك الى الابد.. ربما عاما او عامين، ثم ينتقلان إلى مدينة اخرى.. وهكذا إليأن يستقرا فى القاهرة.. فحرام ان نشترى اثاثا كاملا لبيت مؤقت.. خصوصا وان هذا الاثاث سيتعرض للمرمطة كلما انتقل الزوجان من بلد إلى بلد ، بل ان نقله سيكون عملا ثقيلا عليهما..

وكان رأيى ان نجهز العروس بجهاز «سفرى» يوفر الراحة ولا ينقصه الجمال.. انما يشترط فيه أن يكون خفيفا، بسيطا، يتحمل المرمطة، ولا يكلف غاليا.. ونوفر النقود لنضعها باسم

العروس في احد البنوك، حتى تؤثث بها بيتا كاملا عندما تستقر في القاهرة.

ورفض اقتراحي بأغلبية الأصوات!

وخبطت ابنة خالتي على صدرها وهي تقول:

– حرام عليكي. ده انا ماليش غيرها.. عايزاها تدخل بجهاز سفري.. ليه.. فقرا.. مالهاش حد.. يعني لو كانت بنتك زيزت كنت عاملتي لها كده؟!

قلت:

– ايوه. كنت عملت لها أقل من كده!

قالت:

– والناس تقول ايه؟

قلت:

– يا ستي اكتبي شيك للعروسة بألف جنيه، وحطيه في برواز يتعلق في الصالون، علشان الناس تعرف انك ما بخلتيش عليها بحاجة!

قالت في حدة!

– لأ.. بنتي لازم تتجهز زي أحسن بنت في مصر!!

وغضبت مني ولم تعد تشركني في الاجتماعات التي تعقدها مع سيدات العائلة.. وبدأت تطوف على محلات الأثاث لتشتري «طقم مذهب» و«اودة سفرة».. و«أودة نوم كابيتونيه» الى آخر القائمة المعروفة!

ولم تقتنع برأيي إلا العروس نفسها ومعها العريس.. وظلا يلحان على الأم حتى رضخت اخيراً – رغم أنفها – رضيت بأن

تشترى أثاثا خفيفا سهل النقل، ويتحمل المرمطة..

ولكنها لا تزال غاضبة منى..

●●●

حفلات الكوكتيل..

يبدو أننا - نحن الزوجات - أصبحنا مضطرات لان نفسح فى حياتنا مجالا كبيرا لحفلات الكوكتيل.. وقد كانت هذه الحفلات مقصورة - زمان - على دور السفارات والدوائر الأجنبية.. ولم يكن لزوجى علاقة لا بالسفارات ولا بالدوائر الاجنبية.. ولكن العدوى انتقلت الى المجتمع المصرى، خصوصا مجتمع رجال الأعمال والشركات المصرية.. وكل الفرق بين الحفلات الأجنبية والحفلات المصرية أن الأولى تسمى «كوكتيل» والثانية تسمى «شاى»!

وأنا أكره هذه الحفلات سواء كانت كوكتيل، أو شاى.. واكاد اجزم انها دعوة الى النفاق.. فأنت - فى هذه الحفلات - مضطرة أن تبتسمى طوال الوقت، وان تقابلى وجوها لا يهمك ان تقابليها ورغم ذلك ترحبين بها، ومضطرة ان تتحدثى فى عشرات المواضيع دون ان تتمتعى بالحديث فى موضوع واحد.. ولكنكن تعلمن ان زوجى محام، وقد اصبح عضوا فى مجلس ادارة احدى الشركات، وهو مضطر بحكم عمله الى التردد على هذه الحفلات، سواء بحكم المجاملة لصاحب الدعوة او بحكم رغبته فى التمهيد لبعض عمله..

ويجب أن أذهب معه، حتى نستكمل المظهر الاجتماعى الجديد.. ودور الزوجة هنا اكثر من مجرد مظهر، إنها عنوان لشخصية زوجها الحقيقية، وعلى حسب تصرفاتها خلال الحفلة

يحكم الناس على زوجها، وعلى شخصيته..

وقد حاولت ان اضع لنفسى تقاليد أتبعها خلال هذه الحفلات!

قررت أولا ألا أحاول لفت الأنظار إلىّ، لا بالثياب التى ارتديها، ولا بتصرفاتى.. فكنت اختار دائما قبعة على رأسى.. قبعة جميلة ولكنها ليست شاذة ولا لافتة للنظر.. وكنت اتحلى بأقل ما يمكن من الحلى.. واحاول ان يكون «التواليت» اخف مما أضعه فى السهرة..

هذا من حيث المظهر..

أما من حيث التصرفات، فقد قررت عندما أكون فى حفلة شاى أو كوكتيل، ألا اقضى طوال الوقت مع «شلة» واحدة، او مع «كوبل» واحد.. بل يجب أن اختلط بأكثر عدد من المدعوين.. والا امنح كل «شلة» أو كل زوجين من وقتى اكثر من عشر دقائق.. فهذه هى طبيعة هذه الحفلات..

وكنت أتعمد فى أحاديثى ألا اختار موضوعا يتطلب بحثا طويلا، وأخذا وردا.. أما إذا صادفنى مثل هذا الموضوع، فإنى ادعو محدثى أو محدثتى إلى بيتى وارتبط معه بموعد لنكمل باقى حديثنا فى جلسة خاصة.. أنا وزوجى طبعا!

والحديث يجب أن يكون دائما بصوت هادئ، وأسخف ما يمكن فى هذه الحفلات ان ترتفع ضحكة سيدة بحيث يلتفت اليها كل المدعوين.. لو حدث لى هذا، لقتلت نفسى..

وليس المفروض فى هذه الحفلات ان نأكل حتى نشبع.. إنما يكفى دائما قطعة واحدة من «الجاتوه» أو «البيتى فور» بجانب فنجان الشاى او «كوب «الليموناده».. فإن الاقبال على الاكل

يشوه منظر السيدة، ويلهيها عن وظيفتها الاجتماعية التى يجب ان تؤديها فى مثل هذه الحفلات.

هذه هى التقاليد التى وضعتها لنفسى عندما أدعى إلى حفلة «كوكتيل» أو حفلة شاى، وقد نجحت معى هذه التقاليد حتى الآن.. جربوها..

●●●

ظاهرة اجتماعية خطيرة..

وهى - والحمد لله - ليست ظاهرة منتشرة، حتى نبحثها ونضع لها تقاليد ونظما، ولكنها مجرد حالات فردية.. ورغم ذلك فهى حالات تصادفنا كثيرا فى حياتنا ونضطر أن نواجهها..

كيف نعامل الزوجة الخائنة

كيف يعاملها المجتمع .

إننى شخصيا لا أحب أن أتهم أى زوجة بخيانة زوجها مهما تحدث عنها الناس.. إنه اتهام خطير ويجب ان نحاسب انفسنا قبل توجيهه.. ونتقى الله فى اعراض الناس.. ولكن هناك حالات لا نستطيع ان نتجاهلها.. حالات صريحة واضحة، لا تخفى الا على زوج طيب، او مغرور..

فكيف نواجه هذه الحالات؟

لقد عودت نفسى ألا اردد اى اتهام يوجه إلى أى زوجة.. قد تكون – رغم كل شىء – بريئة، واذا لم تكن بريئة، فإنى أكسب فيها ثوابا بالسكوت عن ترديد قصة خيانتها، وأحمى بيتى من أن تدخله هذه الريح العفنة..

وقد عودت صديقاتى أيضا على ألا يرددن امامى قصص

خيانة الزوجات.. فإذا رددنها، تجاهلتها وأظهرت من البرود ما يكفي لتكف ألسنتهن عن هذا الحديث..

أما الزوجة الخائنة نفسها - إذا كانت من صديقاتى - فإنى لا أسمح أبدا بأن تطلعنى على سرها، بل لا اسمع لها ابدا بالدفاع عن نفسها، اذا حاولت الدفاع.. إن الحديث كله أصده عن أذنى وعن بيتى.. فإنها اذا أطلعتنى على سرها اصبحت مسئولة معها عن سلوكها.. وحشرت نفسى فى موضوع لا يشرفنى ولا يشرف بيتى.. واذا سمحت لها بالدفاع عن نفسها، فإن دفاعها سينتهى حتما برواية قصص زوجات اخريات.. وهو ما لا احبه.. وقد ينتهى هذا الدفاع بأن اصدقها فى حين أنها تكون كاذبة.. او لا اصدقها فى حين تكون بريئة . والحل الوحيد حتى أخلص نفسى من كل هذه الاحتمالات، هو ان احترم نفسى، وافرض عليها احترامى.. فلا تتحدث فى هذا الموضوع امامى!

وهذا التجاهل القاسى لموضوع الخيانات الزوجية، جعل معظم الزوجات يهربن من صداقتى ويتهمننى بالقنزحة وثقل الدم، والحنبلة.. وهو اتهام استطيع ان احتمله اكثر من احتمالى الزج بنفسى فى مشاكلهن..

ولو كان المجتمع كله يواجه الخيانة الزوجية بهذا التجاهل القاسى، لكان تجاهله عقابا صارما لكل زوجة خائنة.. الى حد تضطر معه الى الإقلاع عن الخيانة، حتى تظل محتفظة بمركزها وكيانها الاجتماعى..

وهناك حالات اكثر شذوذا..

هناك حالة الزوجة التى تصر على أن تجعل من عشيقها

صديقا لزوجها.. ثم تصحب الاثنين فى كل مكان.. وقد يكون العشيق متزوجا هو الآخر.. فيخرج الأربعة معا، الى كل المجتمعات العامة والخاصة.. والألسن الحداد تستقبلهم وتودعهم، وهم لا يأبهون.. وزوج الخائنة وزوجة الخائن، لا يشعران..

هذه الحالة، هي أخطر حالات الخيانة الزوجية.. وأنا لا أسمح لهذه «الحالة» بأن تدخل بيتى ابدا.. ولا اعترف بوجود اشخاصها حتى لو كانوا من اصدقائنا.. واحيانا كثيرة اصادف هذه «الحالة» فى السينما، او فى حفلة، فأتجاهلها، واتجاهل تحية اشخاصها واحيانا كثيرة أجد نفسى مضطرة الى دعوة الاربعة الكرام الى حفلة اقيمها.. فأصر على ألا ادعوهم معا.. ادعو الزوجة الخائنة وزوجها ولا أدعو معها الزوج الخائن وزوجته..

ان بيتى بيت شرعى.. ولا يمكن أن تدخله إلا الاوضاع الشرعية مهما كانت الظروف..

وقد تكون تصرفاتى هذه كلها تصرفات سلبية.. ولكنها تكفى.. ولو اجمع عليها المجتمع، واتبعها، لطهر نفسه بنفسه.. فالمجتمع يستطيع ان يضع تقاليد، اما العقوبات فهى من شأن القانون..

●●●

أنا اكره الزوج الخائن..

أكرهه موت..

وربما تشاركنى كل الزوجات فى هذه الكراهية، فإن الزوجة عندما تسمع بقصة زوج يخون زوجته، تتذكر توا، ودون تعمد

منها، وتتصور أنه هو الآخر يخونها، أو يمكن أن يخونها، وانها قد تكون مغفلة!

وكل الزوجات ـ وأنا منهن ـ يخفن على ازواجهن من مصاحبة الخونة.. اقصد الازواج الخونة.. حتى لا تصيبهم العدوى.. لذلك فهن يتعمدن ألا يرحبن فى بيوتهن بالأزواج الذين يعرفن عنهم الخيانة الزوجية، ويتعمدن ان يحملن عليهم بألسنتهن حملات عنيفة امام ازواجهن..

وقد تعودت أن اقابل كل زوج تعرف عنه خيانة زوجته ببرود.. وألا أفسح له مكانا فى بيتى.. وان اضعه عند حده وأسخفه، كلما حاول ان يتباهى بخيانته او بخفة دمه..

ولكنى لم اتعود أبدا أن أردد أخبار هؤلاء الازواج.. ولم اتعود أبدا ان انقل أخبار زوج «فلانة» الى زوجته.. انها جريمة.. جريمة بشعة ان تتطوع سيدة بأن تنقل اخبار الزوج الى زوجته..

وليس هناك انسانة تستحق الاحتقار، بل وتستحق الشنق، اكثر من هذه الانسانة التى تمسك بسماعة التليفون وتتصل بزوجة لتنبئها ان زوجها يخونها.. ولو كان القانون فى يدى لأصدرت تشريعا يقضى بمعاقبة كل سيدة ترتكب هذا الجرم بالأشغال الشاقة المؤبدة.. فإنها تتسبب فى خراب بيت، وتشريد أولاد، وعذاب زوجة..

والخيانة الزوجية لا يتم أثرها ولا تبدو بشاعتها الا بعد ان تعلم بها الزوجة.. فإذا لم تعلم بها الزوجة، مرت بسلام.. واصبح جزاء مرتكبها فى الآخرة لا فى الدنيا..

وقد سمعنا عن أزواج كثيرين خانوا زوجاتهم لفترة ما، ثم تابوا.. انتهت نزوتهم.. وعادوا الى حياة زوجية صالحة.. دون ان

تدرى زوجاتهم شيئا او تتزعزع ثقتهن فيهم، أو يصيب بيوتهن أى مكروه.. او تتأثر كرامتهن، فان كرامة الزوجة لا تتأثر إلا إذا علمت بالخيانة، اما اذا لم تعلم بها ـ حتى لو وقعت ـ فلن تتأثر..

إنى ـ كما قلت ـ اكره الازواج الخائنين، ولا أفسح لهم مكانا فى المجتمع الذى اعيش فيه.. ولكنى فى الوقت نفسه ادعو لهم بالتوبة ليعودوا إلى بيوتهم أزواجا صالحين.. وأدعو الله ان لا تعلم زوجاتهم بخبر خيانتهم حتى لا تجرح كرامتهن، وتخرب بيوتهن، ويتشرد اولادهن.. فإن الزوجة عندما تعلم بخيانة زوجها ولو مرة واحدة، وليوم واحد، سيبقى اثر هذه الخيانة فى كل حياتها، وكل تصرفاتهم..

وقانا الله نحن الزوجات؟!

●●●

رمضان. كل سنة وانتم طيبون!

وأنا أصوم رمضان.. والصيام لا يكلفنى كثيرا من الجهد فقد تعودت عليه من صغرى، وكل الجهد الذى ابذله هو فى توفير كل مظاهر رمضان.. فأنا احرص على شراء المكسرات، وعلى تقديم الكنافة والقطايف على مائدتى. بل إنى أحرص على ان اشترى لابنى وابنتى فوانيس رمضان، رغم انهما لا يلعبان بهذه الفوانيس كثيرا، واحرص اكثر من ذلك على هذه الجلسة العائلية التى نجلسها مجتمعين قبل الافطار وبعده، واحرص على ايقاظ البيت كله ساعة السحور، رغم انى شخصيا لا اتناول فى السحور إلا كوبا من عصير قمر الدين وكذلك زوجى.

لماذا أحرص كل هذا الحرص على توفير كل مظاهر رمضان؟!

لأنى اعتقد أن هذه المظاهر تكون جزءا من شخصيتنا.. وتقاليدنا.. وتربط حاضرنا بماضينا..

إن هذه المظاهر تذكرنى بأيام رمضان التى كنت اقضيها فى بيت أبى وأنا صغيرة.. ومنظر أولادى وهم يقومون نصف نائمين ساعة السحور، يبعث السعادة فى نفسى، وأرى صباى فى صباهم، واتخيل نفسى عندما كنت طفلة وأصر على أن أشارك العائلة فى طعام السحور لا لشىء إلا لأبدو كأنى كبيرة.. كأختى وأمى!

وانا لا أدعو أحدا الى «عزومة» إفطار فى رمضان.. بل احرص على أن يكون الشهر كله عائليا، نعيش فيه على راحتنا، بالبيجامات والشباشب.. وتجتمع العائلة قبل الافطار وبعده لنروى القصص والحكايات للأولاد.. وولائم الافطار فى رمضان دائما فاشلة لأن المدعوين يفدون وهم متعبون من أثر الصيام، ثم يكونون أكثر تعبا بعد الافطار من إثر الاقبال على الأكل.. ولذلك فدعوات رمضان يجب ان تبدأ بعد الافطار بساعتين على الأقل..

قلت لكم إنى أصوم.. ولكن الغريب انى «اتخن» على الصيام، ويزداد وزنى.. وأكاد أجن.: رغم انى لم أتعود ان آكل كثيرا ساعة الافطار، ولا فى السحور!

وقد بحثت عن اسباب زيادة وزنى، فاكتشفت ان هناك إحساسا داخليا خفيا يدفعنى الى «الرمرمة» فيما بين الافطار والسحور، فلا تكف يدى عن تناول المكسرات والحلوى.. وهذه الاحساس الخفى مترتب على الصيام نفسه، فيخيل الىّ دائما انى لم آكل كفاية، وأنى فى حاجة الى تخزين كمية من الطعام فى معدتى لتعيننى على صيام اليوم التالى..

وقد تنبهت لنفسى، واستطعت ان اقاوم هذا الاحساس، وان اقنع نفسى بان الصيام لا يستلزم منى تخزين الطعام فى معدتى، وان آكل ما فيه الكفاية ساعة الافطار.. وبذلك استطعت ان احتفظ بوزنى خلال شهر رمضان..

مرة ثانية.. كل سنة وانتم طيبون، وأرجو ألا يزيد وزن الزوجات خلال الشهر المبارك..

●●●

صديقتى إنجى رشدى - الصحفية المعروفة - غاضبة منى.. وهى تتهمنى بأنى أعطى لزوجى، وللرجل عموما، حقوقا لا يستحقونها.

وفى الأسبوع الماضى زارتنى وثارت ثورتها الأنيقة الحلوة التى تعودتها.. كيف أنصح الزوجات بعدم الذهاب الى السينما اذا كان الازواج مشغولين، او إذا كانوا لا يحبون السينما.. وكيف.. وكيف.. وإكملت قائمة الاتهام، التى استغرق سردها نصف ساعة.. بلا توقف!

وقلت لإنجى: انى لا اعطى الرجل حقا علىّ.. بل اعطى الرجل حقه، واحتفظ بحقى لنفسى.. فاذا كنت لا اذهب الى السينما الا مع زوجى فلأن هذا هو حقى، لا لأنه حقه.. حقى ان ابدو بجانبه لأحتفظ بمظهرى كاملا وليسلينى، ولأزهو به..

فإذا كان زوجى مشغولاً، فإنى افضل ان انتظره حتى اقتضيه حقى، بدل أن أذهب وحدى، فكأنى تنازلت عن حقى، فيه..

ثم إنى من ناحية المبدأ، لا أفكر بعقلية المرأة التى تتحدى الرجل.. ولا أحب أن أجعل من بيتى ميداناً لمعركة كلامية حول

حقوق الرجال والنساء. وسر بطء الحركات النسائية وتوالى فشلها، أنها تقوم على مقارنة حقوق النساء بحقوق الرجال.. وهى مقارنة نتيجتها دائماً ضد المرأة، لأن المرأة لايمكن أبداً أن تقبل أن تكون رجلاً.. ولا اشبه بالرجال إلا إذا كانت تشعر بنقص كامرأة!!

لماذا لانفكر بعقلية مستقلة عن عقلية الرجال..

عقلية المرأة..

إذا كان الرجل يجلس على المقهى، فلماذا لا نطالب بحق الجلوس فى المقاهى أسوة به.. ومن أدرانا أننا سنجد متعة فى ممارسة هذا الحق؟ ولماذا لانصر على عدم الجلوس فى المقاهى وعدم التشبه بالرجال، ونجتمع فى بيوتنا، وندع الرجال يلحقون بنا؟!

إنى من اشد المتحمسات لاشتراك المرأة فى الحياة العامة، واشتغالها بكل الأعمال، وممارستها حق الانتخاب والترشيح وتولى الوزارات.. ولكنى لا اتحمس تحدياً للرجل، ولا أطالب بهذه الحقوق تشبهاً بالرجال.. ولكنى اطالب بها على اعتبار انها حقوق نسائية.. حتى لو لم تكن من حق الرجال!

وأنا فى حياتى الخاصة والعامة لم افكر فى مقارنة حقوقى بحقوق زوجى أو بحقوق الرجال، إنما فكرت فى خلق البيت السعيد.. وفى سبيل هذه السعادة كونت كل آرائى وحددت كل حقوقى وواجباتى..

هذا ما قلته لصديقتى إنجى.. ولم تقتنع به.. لأنها لو اقتنعت به صمتت، وهى لاتطيق الصمت..

وبعد..

إن هناك فارقاً بين حياة إنجى وحياتى.. فهى زوجة تعمل فى الحياة العامة، وأنا زوجة ليس لى عمل إلا بيتى وأولادى وزوجى.

وهى زوجة سعيدة..

وأنا زوجة سعيدة..

ورغم ذلك فهناك اختلاف كبير بين آرائنا، وانى ادعوها لأن تكت عن سعادة الزوجة العاملة. بدل ان تكتفى بثورتها على.

●●●

الصيف..

والصيف فصل التحرر. التحرر من الثياب، والتحرر من التقاليد، واحياناً.. التحرر من الأخلاق!

ونحن لم نتفق بعد على تقاليد الصيف . اقصد تقاليد «البلاج».. ولكنى سأؤجل الحديث عن «البلاج» وسأحدثكم عن تقاليد «البالكونات» اى «الشرفات».. وتقاليد السطوح!!

ان كثيرات منا لا يزلن يهملن الشرفة.. لا يعتبرنها جزءا هاما من البيت.. ويتخذنها مخزنا للاشياء القديمة.. وكثيرات منا ايضا يهملن سطح البيت، ويعتقدن ان السطح لم يخلق ولم يهتم به المهندس الذى وضع تصميم البيت إلا ليكون مكانا صالحا لنشر الغسيل..

إن مصر بلد، صيفها أطول من شتائها .. والقاهرة بالذات، صيفها لهاليب . والشرفة فى كل بيت من بيوت القاهرة تعتبر باب الفرج ، إنها احيانا تكون المكان الوحيد فى البيت كله الذى يطاق الجلوس فيه

ولذلك فقد اهتممت بشرفات بيتى جدا، وجعلت كلا منها

اقرب الى الصالون فى أناقتها، وأثثتها بمقاعد مريحة عريضة، وزينتها بأصص الزهر والصبار.. وتعودت فى الصيف ان امضى الليل كله فى الشرفات مع زوجى والاولاد، ومع الضيوف اذا زارنا احد منهم .

ولكن السهر فى الشرفات له تقاليد يجب ان تحسب حسابها .. فالشرفة ليست جزءاً من البيت تماما، انما هى تعتبر ايضا جزء من الشارع .. فالظهور فى الشرفة هو نصف خروج إلى الشارع، أى لا يصح أن نقف فى الشرفة بملابس النوم، او بالبيجامات، بل يجب ان نرتدى ثيابا اقرب الى ثياب الخروج . ليس معنى هذا ان نضع تواليت كاملا، او نرتدى ثوبا فخما، ولكن يكفى ان نرتدى «جيب» و «بلوز» مثلا..

ولأن الشرفة جزء من الشارع فيجب ان نراعى تقاليد الشارع .. أى لانضحك بصوت عال . ولا نقول كلاما خاصا يسمعه الجيران.. ولا نقزقز اللب، ونأكل الخس، ونلقى القشر على رؤوس الناس المارين فى الطريق.. ولا نتطلع ايضا الى الشرفات الاخرى.. نفس تقاليد الشارع يجب ان تطبق فى الشرفة!

والسطح..

لقد صعدت مرة الى سطح العمارة التى أقيم فيها – وكانت ليلة صيف – فأحسست انى انتقلت الى الجنة .. وفكرت فى ان استغل السطح لقضاء أمسيات جميلة عائلية . خصوصا ان السطح يتيح مكانا واسعا يلهو فيه الاولاد..

ولكن السطح ليس لى وحدى ، إنه مشترك بين سكان العمارة كلهم.

فبدأت اتصل بهم وأعرض عليهم الاشتراك فى تأثيث السطح باثاث بسيط خفيف.. بضعة مقاعد من مقاعد البلاج، وبضع موائد .. ويكون لنا جميعا حق قضاء الامسيات فيه، تماما كشاطيء البحر..

وسخر بعض السكان من الفكرة.. ورحب البعض الآخر بها، فنفذتها معهم، ومالبث الساخرون أن انضموا إلينا..

وأصبح من عادتي في الصيف ان اقول لأولادى بين حين وآخر: «ياللا ياولاد نطلع الجنة»!!

وعندما نصعد الى الجنة نصعد إليها مرتدين ثياب الخروج.. ونراعى نفس التقاليد التى نراعيها فى الشارع وفى الشرفة..

●●●

إنى أستعد للعيد.. كل سنة وانتم طيبون!!

وانا احرص فى كل عيد على إقامة شعائره.. ولم يفتنى ابدا ان اصنع كعك العيد الصغير.. حتى اصبحت لا أحس بالعيد، إلا اذا استيقظت فى الصباح ووجدت على المائدة اقراص الكعك وقد انتثر عليها السكر «البودرة» فبدت كأنها زهور بيضاء متفتحة..

والكعك تقليد جميل من تقاليدنا التى ترسم شخصية مجتمعنا..

ولكن..

مامعنى هذا التقليد، وماهو المقصود به؟

هل المقصود به ان نتعب بطوننا حتى نمرض من كثرة اكل الكعك؟

وهل المقصود به ان نتعب ميزانية البيت، حتى نندم بعد ان يمر العيد، ونتمنى لو انه لم يمر بنا، ثم نبدأ فى الاستدانة؟!

وهل المقصود به ان نتباهى أمام جاراتنا، ونتنافس فى زيادة كمية الكعك وإجادة صنعه؟

لا قطعا..

ليس المقصود هو إتعاب بطوننا، ولا إتعاب ميزانيتنا، ولا التباهى امام الجيران والشماتة فيهم، او الغيرة منهم..

إنما المقصود هو مجرد ذكرى جميلة لمرور شهر رمضان، ونهاية أيام الصيام، والاحتفال بأيام الافطار.. وحتى نفطر فى اول يوم على «حاجة حلوة»..

ويجب أن يتم هذا التقليد فى جو عائلى مرح، بسيط، يجمع بين افراد العائلة كلهم..

وقد تعودت قبل العيد بيومين أن أعد عجينة الكعك ثم نجتمع كلنا فى المطبخ ويبدأ كل منا فى صنع كعكة لنفسه.. انا، والاولاد، وحتى زوجى يشترك معنا ويضع كعكته بنفسه، وكذلك الخدم .. ويضع كل منا علامة مميزة على كعكته، ثم نرسل بالكعك الى الفرن.. ولاتتصوروا فرحة كل منا عندما يرى كعكته «ويرش» عليها السكر ويحرص عليها، حتى يأكلها فى صبيحة يوم العيد..

وانا لا أشترى ابدا الكعك من السوق، لان ذلك يفوت علينا بهجة الاجتماع العائلى لاعداد الكعك بأنفسنا .

والكعك الذى نصنعه لايزيد عن اقتين.. اى عشرين كعكة على الاكثر.. نأكل منه مانأكل، ويبقى جزء منه لنقدمه للضيوف، وفى ثانى يوم العيد لا يبقى فى البيت ولا كعكة.. ونعتبر أن دور

الاحتفال بالكعك قد انتهى ونبدأ في برنامج للتنزه في باقى ايام العيد.. وبذلك استطعت ان احمى بطون عائلتى من مضار الاكثار من اكل الكعك، وان اصون ميزانيتى من نفقات الاسراف فى تكاليف الكعك..

مرة ثانية.. كل سنة وانتم طيبون!!..

●●●

أحد القراء يعجب مما أكتبه، ويثير دهشته أنى أسمح لنفسى وللبنات بالرقص، وفى الوقت نفسه اصوم رمضان واصلى، وادعو الناس للصيام والصلاة..

وأريد من القارئ الكريم ان يفهمنى..

فأنا لا ارى تعارضا بين الرقص والصلاة والصيام.. ولا اعتقد ان كل فتاة ترقص هى فتاة تستحق التجريح، وتعتبر قليلة الأدب..

ان الرقص هو أحد مظاهر المدنية الحديثة.. بشرط ان يؤدى فى الحدود التى سبق ان شرحتها بالتفصيل..

واذا كان القارئ الكريم يعجب ويفغر فاه دهشة من ان يكون الرقص معترفا به من مظاهر المدنية، فليتذكر ان والده وجده كانا يعجبان ويدهشان اذا لمحا سيدة تسير فى الطريق سافرة الوجه..

واذا كان سيادته - القارئ الكريم - يدهش عندما يرى امرأة تصلى وترقص، فإن ابنه لن يدهش بعد بضع سنوات .. بل سيرقص .. وأرجو ان يصلى!

ومن الخطأ ان نتجاهل هذه المدنية الحديثة، لأنها عنصر من

عناصر التطور. وهى أقوى منا .. واقوى من المتزمتين.. واذا كان السفور قد انتصر على انصار الحجاب.. فان «المايوه» قد انتصر أيضا على الرجعيين.. وسينتصر الرقص قريبا..

وبدل أن نتجاهل هذه المظاهر ونتحداها، خير لنا ان نشترك فيها فى حدود مبادىء الخلق القويم، وفى حدود الحرص على الأدب والعفة.

وأنا قد وضعت لحياتى أهدافا، ومبادىء..

نفس الأهداف والمبادىء التى يؤمن بها اكثر الناس تزمتا.. ولا أسمح لنفسى أبدا أن أنحرف عن هذه الاهداف والمبادىء.. ولكنى فى الوقت نفسه لا احاول ان اتجاهل مظاهر المدنية الحديثة، ولا احاول ان احرم ابنتى منها، حتى لا ترقص من وراء ظهرى. وسرا.. فيصبح للرقص معنى الخطيئة..

لذلك فأنا حريصة على الصلاة والصوم..

ولذلك أيضا وضعت للرقص تقاليد لاتتنافى مع الفضيلة.. ومادامت لاتتنافى مع الفضيلة، فهى لاتتنافى مع الصلاة والصوم .

والقارىء الكريم يتحدث عن رقصة « الروك اندرول» وانا لم اتحدث من قبل عن هذه الرقصة.. وقد يعجب سيادته عندما يعلم انى لا اسمح لابنتى بأن ترقصها، لا لأنها عيب، بل لأنها رياضة عنيفة.. والرياضة العنيفة مكانها النوادى ويجب ان يكون لها زى خاص.. وليس مكانها الصالونات، ولا يصح ان نؤديها بثيابنا العادية..

ترى .. هل اقتنع القارىء الكريم؟

●●●

هل نرتدى «المايوه» فى النوادى الرياضية؟!

إن هناك فرقا بين حمام السباحة فى النادى، وشاطئ البحر فى الاسكندرية..

فرق كبير..

ورغم ذلك فإنى لا استطيع أن أصور الفرق، ولكنى أحس به فى أعماقى .. فلا أستطيع مثلا ان اجلس على حافة حمام السباحة، نفس الجلسة التى اجلسها على شاطىء البحر..

إنه فارق بلا منطق.. نفس الفارق الذى يدفعنا الى ارتداء المايوه على الشاطىء، وعدم ارتدائه فى شارع قصر النيل..

وكثيرات من سيدات وآنسات النادى الأهلى، ونادى الجزيرة يرفضن ارتداء المايوه، ويرفضن النزول إلى حمام السباحة، رغم انهن - هن أنفسهن - يرتدين المايوه على الشاطىء وينزلن للاستحمام فى البحر!!

لماذا؟

لا أحد يدرى..

والتفسير الوحيد هو ان مجتمع النادى اكثر محافظة من مجتمع الشاطىء!

وأنا لا أحرم ابنتى من ارتداء المايوه فى النادى او السباحة .. ولكنى اضع لذلك عدة تقاليد تختلف عن تقاليد الشاطىء:

مثلا..

ممنوع ارتداء « المايوه» إلا ساعة السباحة فقط.. فاذهب الى الغرفة المخصصة لتبديل الثياب، وارتدى المايوه، واتجه توا الى حوض السباحة.. وأغطس فى الماء، وأسبح عشر دقائق، أو

نصف ساعة، ثم أخرج من حوض السباحة وأعود توا الى غرفة تبديل الملابس، دون ان أتسكع حول الموائد او «اتلطع» عند البوفيه.. وبعد أن أبدل ثيابي اعود في ثوبي الكامل لأجلس على حافة الحوض . وممنوع أيضا «حمامات الشمس» في النادي او لعب «الفولي بول» بالمايوه كما تفعل بنات نادي الجزيرة.. وشمس القاهرة لا تصلح لما نسميه «حمامات الشمس» وهي خطرة على البشرة.. أما «الفولي بول» فله زي خاص غير المايوه..

هذه هي اسس التقاليد التي وضعتها لتصرفاتي في حمام السباحة بالنادي الاهلي..

ورغم ذلك فلم أسلم من ألسنة بعض الاعضاء والعضوات، المتزمتين والمتزمتات، والذين يصرون على تحريم ارتداء المايوه في النادي..

ولكني قررت ألا احرم نفسي من متع الحياة مادامت لا تتعارض مع الفضيلة.. والرياضة والسباحة من متع الحياة التي لا يجب ان نحرم انفسنا منها .. والمايوه ليس خطيئة مادام لا يتعارض مع التصرفات الفاضلة، والنفوس الفاضلة...

إني ادعوكم جميعا الى حمامات السباحة..

وادعوكم جميعا الى ارتداء المايوه.. مادام القوام ليس منفرا يثير السخرية.. ومادام القصد من ارتدائه – أي المايوه – هو السباحة فقط.

●●●

أشد مايغيظني هو أن ارى بناتنا ينسقن وراء «الموداتـ» و«التقاليع» الجديدة، دون ان يحكمن ذوقهن الخاص، ودون ان

يحتفظن بشخصياتهن المستقلة:..بل يسلمن تفكيرهن، وذوقهن، وشخصياتهن لكل فكرة يقرأن عنها في مجلة فرنسية..

وآخر «الموضات» التي تكيدني، هو اللون الجديد لأحمر الشفاه المسمى «ناتيرل» أي : «الطبيعي».

وهو لون لايمكن ان يكون طبيعيا.. انه لون يكاد يقرب الى اللون الأبيض .. ولم نسمع ابدا عن شفاه طبيعية لونها ابيض. الا اذا كانت صاحبتهما مريضة.. أو ميتة!!

ورغم ذلك فقد انقادت فتياتنا الى هذه الموضة.. بلا وعي وطلين شفاههن باللون الابيض.. وبدت السمراوات منهن كأنهن العفاريت، وبدت الشقراوات كالحات لا تستطيع أن تميز شفتي كل منهن عن ذقنها!

ومنذ سنوات .. أيام كنت فتاة .. ظهرت موضة اخرى وهي طلاء اظافر اليد بألوان مختلفة.. واللون الأخضر والذهبي.. والفضي.. و«الموف».. وانقادت فتيات الأمس إلى هذه الموضة، كما تنقاد فتيات اليوم إلى اللون «الناتيرل» يصبغن به شفاههن وأنكر أني ـ زمان ـ انسقت مع الموضة وطليت اظافري يوما باللون الذهبي، ونظرت اليها فأحسست كأني غريبة عن نفسي.. كأني تمثال.. كأن اصابعي ليست ملكي.. ومسحت اللون من فوق اظافري بسرعة «بالاسيتون» وقررت من يومها ألا أنساق إلى أي موضة الا بعد تحكيم ذوقي الخاص..

وهناك موضة اخرى منتشرة هذه الايام .. وهي صبغ الشعر باللون الاحمر.. وقد بدأت هذه «الموضة» تختفي، ولكنها لاتزال عالقة برؤوس بعض سيدات نادي الجزيرة.. والكثيرات.. الكثيرات جدا.. من سيدات وآنسات الوسط الفني!

ومنذ اسبوعين دعيت مع زوجى الى احد الملاهى فشاهدت راقصة جميلة ذات شعر اسود.. جميلة بشعرها الاسود.. وبعد يومين شاهدت نفس الراقصة وشعرها احمر.. وكانت قبيحة.. منفردة .. لماذا فعلت بنفسها هذا.. المسكينة؟!

إنه الجهل..

والانقياد الاعمى وراء المودة!

ولو عرفت أن الشعر الاحمر لايليق الا على البشرة البيضاء .. ولو علمت أن حتى صاحبات البشرة البيضاء يفضلن الشعر الاصفر، او الاسود.. ولو عرفت انها ستكون قبيحة الى هذا الحد إذا صبغت شعرها باللون الأحمر.. لما صبغته!!

إنه الجهل .. كما قلت.

●●●

سأذهب واعطى صوتى فى الانتخابات..

ولكنى حائرة..

انى لا أعرف أحدا من المرشحين معرفة شخصية، وليس بينهم خلاف يذكر فى المبادىء السياسية العامة، وعيوبهم تقريبا واحدة، والاشاعات التى تدور حول كل منهم، سواء كانت باطلة او صادقة، لا تختلف عن الاشاعات التى تدور حول الآخر..

وقد زارنا فى بيتنا اثنان من مرشحى الدائرة. جاءوا الينا بصحبة بعض الجيران. وناقشت كلا منهما، أنا وزوجى مناقشة طويلة.. فلم نستطع ان نستقر على رأى .. ان كليهما مؤمن بالثورة، وكلاهما مجاهد، وكلهما ينسب لنفسه أفضالا لا تختلف عن الآخر، وكلاهما يتحدث باسم الشعب.. بل ان أسلوب كل

منهما فى الكلام وفى إشارات يديه لاتختلف عن الآخر..

كيف اختار بين هذه التوائم التى تقدمت للترشيح؟

لقد أحسست كأنى أمام جماعة من العرسان كل منهم يسألنى يد ابنتى ، ويريد ان يخطبها لنفسه.. طبقا للتقاليد القديمة التى تحتم الا يلتقى العريس والعروس إلا بعد كتب الكتاب.. اى بعد الانتخابات!!

واخذت اولا افكر فى ابنتى.. انها لاتحب عريسا بالذات من هؤلاء العرسان، ولا تفضل احدهم على الآخر.. ولكنها – رغم ذلك – يجب ان تتزوج.. ويجب ان اختار لها عريسا!!

واخذت اطبق المقاييس التى تطبق عادة فى اختيار العرسان:

الأخلاق.. كلهم اخلاقهم متساوية.. على حد علمى!

العلم.. كلهم من خريجى الجامعات..

التاريخ الوطنى.. كلهم يدعون أن لهم تاريخا مجيدا ..

كلام الناس.. كل منهم له اعداء يهاجمونه، وكل منهم له انصار يمدحونه!

المبادىء.. واحدة..

الاسلوب .. إن النفاق يغلب على اسلوبهم جميعا، وربما لم يكن النفاق صفة فيهم، ولكن طبيعة الانتخابات واستجداء الاصوات تحتاج الى كثير من النفاق..

وطبعا لم اطبق مقياس الثروة والمال..

وقد خرجت من تطبيق هذه المقاييس وأنا أشد حيرة مما كنت .. ورغم ذلك فانى سأذهب وأدلى بصوتى فى الانتخابات، حتى لو اخترت بين المرشحين على طريقة «حادى بادى، سيدى محمد

البغدادى»

سأنتخب، فالأمر ليس متعلقا بالمرشحين بل متعلقا باستعمال حق لى حق اعتز به، ولا اقبل ان اتنازل عنه ويكفينى انى اديت واجبى الوطنى، حتى ارضى عن نفسى..

لا تتكاسلن يوم الانتخاب..

فالتكاسل معناه التنازل عن حق .. والتنازل عن شخصية المرأة المصرية..

●●●

منذ اسبوعين وزوجى أحمد فى حالة عصبية مريعة..

إنه لاينام..

وهو يثور لأتفه الأسباب..

ولكنى أحتمله.. أحتمله صابرة، وأتعمد أن أستقبل ثورته بابتسامة هادئة، وأحاول ألا أناقشه أبدا فى أى رأى يبديه حتى لو كنت مقتنعة بينى وبين نفسى بخطأ هذا الرأى..

وليست هذه المرة الأولى التى ينتاب فيها زوجى هذه النوبة العصبية.. إنه يصاب بها فى كل عام، وفى مثل هذه الأيام بالذات.

أنا أسمى هذه الأيام «موسم النكد».. ويخيل إلىّ أن كل الأزواج ينقلبون الى ادوات نكد فى هذا الموسم!

لماذا؟

لأن الأزواج يكونون متعبين.. لقد قضوا ثمانية شهور، أو تسعة، وهم يعملون باستمرار.. كل يوم، وكل ساعة.. ويحملون مسئولية أعمالهم فى رؤوسهم وفوق صدورهم.. وعندما نصبح

على أبواب شهر يونيو (حزيران) يكونون قد تعبوا، وتكون الآلة التى تدور فى أجسادهم، قد اصبحت فى حاجة الى «تزييت» وإلى الراحة من العمل.. فتصاب بهذه النوبة العصبية.. أشبه بالرعشة التى تصيب موتور السيارة بعد طول استعمالها.

ويخيل إلىّ أن كل المصائب الزوجية تقع فى شهر يونيو (حزيران).. ففى هذا الشهر بالذات تصبح تصرفات الزوج لاتطاق.. وكثير من الزوجات لايعلمن سر هذه التصرفات فيقابلن الثورة بالثورة، والعناد بالعناد، والخطأ بالخطأ.. وتقع المصيبة!

ليس هذا فقط.. بل إن تصرفات الزوج فى عمله أيضا تصبح تصرفات غلط.. ليس فيها تفكير هادىء ولا روية، إنما مجرد عواطف ثائرة.. ويخيل إلىّ ان معظم مصائب العمل أيضا تقع فى شهر يونيو.

والحل؟!

الحل هو أن تعامل الزوجة زوجها على انه إنسان متعب مريض فى حاجة إلى عملية «تشحيم» فتدخله الى كاراج عواطفها، وتبدأ فى غسل أعصابه، وتزييتها.. ثم تصمم على أن يمنح نفسه اجازة من العمل.. واذا لم يستطع الزوج أن ينال اجازته فعلى الأقل تبدأ الزوجة تثير فيه أحلام الأيام الجميلة التى سيقضونها فى الأجازة.. وتحدثه عن مشروعاتها التى ستقوم بها فى الاسكندرية، أو فى رأس البر أو فى الريف.. حتى.. يستعين الزوج بهذه الأحلام على أعصابه، ويستطيع أن يقضى أيامه بسلام الى أن يحين موعد الاجازة.

هذا ما أفعله الآن مع زوجى..

ولكنه لايزال ثائراً عصبياً... .

ولازلت أحتمل ثورته، هادئة صابرة.. فهو انسان أتعب نفسه طول العام فى سبيلى وفى سبيل أولادى.

●●●

أظن أن التليفون مشكلة..

مشكلة كل بيت.. خصوصا البيوت التى فيها بنات!!

ومشاكل التليفون معروفة.. مشكلة التليفون الذى يدق ثم لايرد أحد . ومشكلة التليفون ذى الحبل الطويل الذى تسحبه البنت إلى غرفتها ثم تغلق الباب وتتكلم مدى ساعات.. ثم مشكلة المعاكسات التليفونية، الثقيل منها والخفيف.

وقد حاولت أن أتغلب على هذه المشاكل.. تغلبت عليها بعد أن اعترفت أولا بأننى لا أنا ولا زوجى نستطيع أن نستغنى عن التليفون.. ومهما حدث، فلن نفكر فى الاستغناء عنه.. انه ضرورة لابد منها..

تغلبت على مشكلة التليفون الذى يدق ولا يرد، بأن عودت أعصابى عليه.. أصبحت كلما رفعت السماعة ولم أسمع صوتا، أعدتها فى هدوء دون أن أسمح لنفسى بأن أشك فى أن هناك امرأة تريد زوجى.. كنت أقول لنفسى ربما كان رجلا يريد الخادمة، أو امرأة تريد السفرجى.. أو ولدا شقيا من أصدقاء ابنى، أو بنتا من صديقات ابنتى خجلت عندما سمعت صوتى.. كنت أفترض كل الفروض حتى أبعد الشبهات عن زوجى.. ولم أكن أناقشه فى هذه التليفونات، بل لم أكن أبلغه عنها.. ولكنى كنت أحس أنه يعانى نفس حيرتى، وأنه يقاوم نفسه كما أقاومها.. وكنت أنتظر ما سيفعله، فإذا به يتصرف مثلى..

لاتعليق ولا حكاية..

ومن الغريب أن هذا البرود الذى كنا نقابل به التليفونات التى لاترد، انتهى بأن انقطعت عنا هذه التليفونات فعلا.. ربما كان هناك بعض الناس الأشرار يريدون أن يعكروا صفو هدوئنا، فلما يئسوا كفوا..

أما التليفون ذو الحبل.. فقد رفضت أن أدخله فى بيتى.. لا لشىء إلا لأنها طريقة تشجع على الكسل، ثم أن التليفون فى نظرى ليس أداة تسلية، بل هو اداة تبليغ رسائل.. وكلما قصرت الرسائل، كلما كان ذلك أكثر احتراما لمهمة التليفون.. ثم اننا تعودنا فى عائلتنا ألا يكون بيننا أسرار.. فليس هناك ضرورة فى أن يأخذ أحد منا التليفون إلى حجرته، ويقفل على نفسه الباب.. حتى زوجى ليس له أسرار فى عمله، كل ما هنالك أنه يطلب أحيانا من السفرجى أن يخرج من غرفة التليفون اذا كان يريد أن يتكلم فى شىء لايريد أن يسمعه..

ونحن جميعا نتكلم فى التليفون أمام بعضنا البعض. ولكن هناك حيلا كثيرة للتليفون.. قد تحادث ابنتى أحد الشبان على أنه إحدى صديقاتها.. أو... أو... حيل كثيرة سمعت عنها.. فما العمل؟

الحل الوحيد أيضا هو أن تكسب الأم ثقة ابنتها وتعودها على أن تبادلها أسرارها.. وأنا لا أغضب عندما تحدث ابنتى شابا من زملائها فى النادى، أو من أصدقاء العائلة حديثا بريئا.. وثقتى بأنها تقول لى كل شىء تجعلنى متأكدة من أن كل أحاديثها بريئة..

وأكرر أن هذا هو الحل الوحيد.. ليس هناك حل آخر.. ومهما

حـاولت الأم أو الأب الالتـجـاء الى العنف فى منع ابنتـهـمـا من التحدث فى التليفون.. فإن البنت ستجد دائما حيلة تلجأ اليها.. حيل أكبر من أن نتصورها نحن أفراد الجيل القديم..

أما المعاكسات.. فإن ردى الوحيد عليها هو أن أعيد سماعة التليفون الى مكانها فى هدوء وبلا تعليق... لا أشتم، ولا أثور.. إنما فى منتهى البرود.. وكلما تكررت المعاكسات ازددت برودا حتى ييأس الطرف المعاكس..

وربنا يستر من التليفون..

●●●

هل تقودين سيارة؟

وهل يسمح لك زوجك بقيادة سيارة؟

ان مـجـتـمـعنا لا يزال مـتـرددا فى منح المرأة حق قـيـادة السيـارات، ورغم آلاف السيدات اللاتى يقدن سياراتهن فعلا، فالمجتمع لا يزال مترددا، ولا يزال ينظر إلى السيـدة التى تقود سيارة كأنه يرى منظرا عجيبا.. منافيا للآداب!!

وأنا أقود سـيارتنا.. ولكننى لم أنل هذا الحق بسـهولة، فـقد تعلمت قـيادة السيـارات قبل أن أتزوج، وبعد ان تزوجت لم يكن زوجى يملك سـيـارة.. وقـضـينا أكـثـر من اربع سنوات إلى ان اشترينا سيارة صـغيرة «اوستن».. وكان أول أمر أصدره زوجى لى، هو ألا افكر يوما فى قيادة السيارة!!

لماذا؟

قال انه يخاف علىَّ..

ثم قـال انه لا يعـجبه منظر السـيدة التى تقـود سيـارة، وان

قيادة السيارات قد تفقد المرأة انوثتها!!

وأطعت الأمر.. على العين والرأس!

ولكنى كنت واثقة أن زوجى سيضطر ان يسمح لى بقيادة السيارة، يوما ما.. فلم يكن عندنا سائق، وزوجى وحده لن يستطيع ان يؤدى جميع الخدمات التى نحتاج فيها للسيارة، ولن يهون عليه ان يركب هو سيارة ويذهب إلى عمله، ويتركنى انا اركب الترام والأوتوبيس..

وفعلا جاء هذا اليوم.. واضطر زوجى ان يسمح لى بقيادة السيارة.. فى الحالات الضرورية.. ثم شيئا فشيئا اصبحت القيادة حقا لى ولكنه لم يكن يسمح لى ان أقود السيارة وهو جالس بجانبى!

لماذا؟

قال إنه لا يسمح لزوجته ان تقوده؟

وقال إنه عندما يجلس بجانبى وانا اقود السيارة يحس انه تنازل عن رجولته!!

ولكن شيئا فشيئا، أصبحت انا أقود السيارة وهو جالس بجانبى.. فقد كان يخرج من عمله متعبا، وكان قد مل قيادة السيارات فتنازل عن عناده..

وأصبح احد واجباتى المنزلية هى ان اقود السيارة لزوجى واولادى!.

وانا لا أومن بأن قيادة المرأة للسيارة فيها خروج على التقاليد او جرح للمجتمع.. انه عمل عادى، كالطبخ والكنس، وكالسير فى الشارع.. بل ربما كانت مشية المرأة فى الشارع اكثر اثارة من

قيادة سيارة.

ولكن..

العيب الوحيد، أن بعض السيدات يمارسن قيادة السيارات كنوع من التسلية وتضييع الوقت، فلا يكاد زوجها يذهب الى عمله حتى تركب سيارتها وتأخذ فى الطواف بها فى شوارع البلد بلا هدف، إلا مجرد التسلية والاستعراض..

هذا عيب..

لا لأنه خروج على التقاليد..

بل لأنه يدل على أن هذه السيدة فارغة فاضية عاطلة.. ليس لها هدف فى حياتها اليومية..

●●●

سافرت فى الأسبوع الماضى إلى الاسكندرية، لأعد بيتنا..

وقد سبق أن قلت لكم إنى استأجرت شقة فى الاسكندرية طول العام، بعد ان اكتشفت ان ايجارها السنوى أرخص من ايجاد شقة مفروشة فى شهور الصيف.. ان الايجار السنوى ٨٤ جنيها، فى حين ان ايجار شقة لمدة ثلاثة شهور فى الصيف لا يمكن أن يقل عن مائة جنيه..

وهى شقة صغيرة.. حجرتان وصالة.. وقد فرشتها بكل ما استطعت أن استغنى عنه من قطع الأثاث القديم.. ولم أحاول أن أجعلها شقة فخمة، بل انها أقرب إلى معسكرات الكشافة، ولكنها خفيفة الدم، وأهم ما فيها انها تطل على البحر..

ولا أعتقد ان الناس فى المصيف فى حاجة إلى شقة فخمة، فهم فى حاجة أكثر إلى قضاء معظم الوقت على الشاطىء.. وأنا

وزوجى لا نكاد ننتهى من افطارنا حتى نسرع إلى البلاج، ونعود لنتناول طعام الغداء، ثم نسرع مرة ثانية إلى الشاطىء.. ثم نعود إلى الشقة وقد أنهكنا التعب اللذيذ.. تعب المرح، والرياضة، والهواء المنعش.. فنتناول طعام العشاء، وننام كالفسيخ..

وفى الصيف لا أدعو أحدا إلى بيتى، إلا اذا حدثت زيارات عابرة.. إنما التقى بكل أصدقائنا على الشاطىء تحت الشمسية.. خصوصا انى لا أصحب معى إلى الاسكندرية إلا «سفرجى» صغيرا، وأتولى معه إعداد الطعام وتنظيف البيت بمساعدة زوجى وأولادى، بعد أن أوزع عليهم العمل.. وهم يقبلون عليه فى مرح.. بل انى استطعت أن أقنعهم أن أعمال البيت هى نوع من أنواع الرياضة..

وفى المصيف ايضا أتعمد أن أهرب من الأصدقاء الذين اضع بينى وبينهم تكلفا، فاستقبال هؤلاء الأصدقاء فيه جهد كبير.. جهد فى تكلف الحديث، وفى طريقة الاستقبال.. جهد يجب أن يستريح منه الانسان - فترة ما - كما يستريح من أى عمل آخر.. وأتعهد أن اقضى معظم وقتى مع عائلتى «على راحتى» حتى استريح من التكلف.

وقد كبرت ابنتى هذا العام..

وبدأت أفكر فى تصرفات البنات على الشاطىء.. وكل البنات يعتقدن ان الشاطىء هو سوق للزواج، هو أنسب مكان لتعرض فيه البنت نفسها على العرسان.. ويشارك البنات فى هذا الاعتقاد كثير من الأمهات.. وهو اعتقاد صحيح، ولكنه يجر إلى كثير من الأخطاء.. فالبنت فى لهفتها للعثور على العريس، تخطىء كثيرا وتنساق فى مغامرات عاطفية، لا تنتهى عادة

بالزواج.. والأم في لهفتها على تزويج ابنتها «تصهين» كثيرا عن تصرفاتها. قد تعلم انها تلتقي بشاب خلف الكبائن، وقد تعلم انها تذهب إلى سينما فلوريدا - في سيدى بشر - لتلتقي هناك بشاب.. وقد تعلم الكثير، ولكنها تسكت على أمل أن ينتهي الصيف بإعلان خطبة ابنتها..

وهذا خطأ كبير. ويجب أن تتم كل عمليات التعارف بين البنات والشبان تحت رقابة الأم، وفي جو اجتماعي عائلي نظيف، حتى يقتنع الشاب بالزواج. وأنا شخصيا سأرحب بأي فتى يحادث ابنتي على الشاطيء، مادام يحادثها أمامي ومادام يقبل أن ينضم إلى عائلتنا تحت الشمسية..

وعلى كل حال.. ربنا يستر!

●●●

خطاب إلى ابنتي!!

يا حبي الأخير..

إني أكتب إليك، لأعترف.. لأكشف لك عن خطة مدبرة أحاطت بك، وأنت لا تعلمين.. وأنا الذي دبرت هذه الخطة متعمدا، وساعدتني والدتك في تنفيذها..

واسمعي اعترافي..

لقد تعودت والدتك، كلما عدت إلى البيت وبدأت أخلع ملابسي، أن تأخذ في تلاوة نشرة الأخبار.. أخبارك وأخبار أخويك محمد وأحمد.. وهي تتهمني دائما بأني أقابل هذه النشرة بلا اهتمام، وبلا مبالاة.. وأستمع إليها وأنا سرحان.. وهي لهذا تشكو من انى ألقي عليها عبئكم كله، وأحملها وحدها المسئولية كلها.. وتتهمني بأني أبالغ في تدليلكم.. أبالغ في فرحي

بكم، وفى العفو عن اخطائكم.. الأخطاء التى مهما بالغت والدتك في تجسيمها، وبالغت فى وصفها تبدو أمامى صغيرة.. لا تقاس بأخطائى عندما كنت فى عمركم!!

ومنذ عدة شهور جاء فى نشرة الأخبار أن حضرتك بدأت تهتمين بأحد الشبان، وان والدتك تعتقد انك تحادثينه فى التليفون، وتعتقد ان هذا الشاب هو.. مدحت!

وانتفضت..

صدقينى أنى انتفضت فعلا.. لا لأن الخبر ازعجنى.. أبداً.. بل لأنى تذكرت فجأة انك الآن فى السادسة عشرة من عمرك.. ونحن الآباء، نتناسى دائما أعمار أولادنا حتى لا نتذكر أعمارنا!!

وأفقت من انتفاضتى مبديا اهتماما كبيرا بما سمعته.. اهتماما أثار دهشة والدتك، حتى أنها بدأت تقلل من شأن الخبر، ظنا منها أنه أثارنى وأغضبنى.. ولكنى لم أكن ثائرا أو غاضبا، بل كان اهتمامى يخفى وراءه رعشة خفيفة تسرى فى أعصابى.. نفس الرعشة التى كانت تنتابنى وأنا طالب مقبل على الامتحان، وظلت تنتابنى كلما أقدمت على عمل جديد أو تجربة جديدة..

وأنت تعلمين انى قضيت عمرى أكتب للناس عن نظرياتى فى الحب وفى المجتمع.. وأطالب الآباء والأمهات بأن يسمعوا الكلام.. كلامى.. ويوجهوا بناتهم وأولادهم وفقا لآرائى.. وقد جاء الوقت الذى امتحن فيه نظرياتى، وأجرى فيه التجربة على نفسى . وعندما أقول نفسى، فإنما أعنى، أنت!

وانهلت على والدتك بعشرات الأسئلة . متى، وكيف، وأين، وماذا، ولماذ؟.. واستعملت كل حروف وكلمات الاستفهام.. ولم أكن أسأل عن مدحت.. ولم يكن يهمنى شيء . لا أخلاقه، ولا

صنفاته، ولا عائلته.. بل كنت أسأل عنك.. عن عواطفك، وعن تصرفاتك، وعن كل كلمة نطقت بها في تلك الأيام، واستطيع أن استدل منها على شيء..

ولم أكن أريد أن أعرف إلا شيئا واحدا.. هو ان الوقت لم يفت. وان عاطفتك لاتزال وليدة فاستطيع أن أجرى عليها تجاربي.. وان هذه العاطفة لم تشب وتشخ حتى أصبحت أقوى من التجربة فلا يبقى أمامى إلا أن استسلم لها..

واطمأن قلبى عندما اكدت لى والدتك ان اهتمامك بمدحت لم يبدأ إلا منذ أيام.. وانك صارحتها بكل ما جرى بينكما.. ولم يكن قد جرى بينكما شيء سوى انك قابلته فى النادى، وانك تفضلين صحبته على صحبة بقية الشبان.. أو هذا على الأقل، ما صارحتنى به والدتك .

وبدأت أرسم الخطة بسرعة.. بدأت أجهز أدوات التجربة! طلبت من والدتك ألا تتدخل مطلقا فى تصرفاتك.. وألا تحد من حريتك.. ألا تحاسبك على أحاديثك التليفونية، ولا على الاوقات التى تقضينها فى النادى.. وألا تستجوبك أو تتحايل عليك لتطلعيها على أشياء لا تريدين ان تطلعى عليها أحدا..

وفى الوقت نفسه رجوت والدتك، أن تتعرف بسرعة على عائلة مدحت.. وأن تدعو أفرادها الى البيت، وأن تقدم مدحت الى اخويك محمد واحمد.. ووعدتها أنى من ناحيتى سأحاول التعرف الى والد مدحت، وكسب صداقته..

ماذا كنت أريد؟

كنت أريد أن أثبت لنفسى أن الحرية هى الأمان الوحيد من اخطاء العاطفة..

وقد عرف المجتمع كله هذه الحقيقة وأن لم يعترف بها.. عرف انه لا يمكن تنظيم العاطفة البشرية والرقى بها إلا فى نطاق الحرية.. فإذا وجدت للحرية اخطاء، فعلاجها هو.. مزيد من الحرية..

وقد كانت البنات قبل أن تولدى أنت، وأولد أنا.. يعشن وراء المشربيات.. ولكن هذه المشربيات لم تحمهن من الخطيئة.. ولم تهذب عواطفهن.. كن ينظرن من خلال ثقوب المشربية ويلوحن لأى عابر سبيل.. ولما عجز المجتمع عن حمايتهن، وجد أن الحل الوحيد هو القضاء على المشربيات، ومنح البنات حق النظر من الشبابيك.. ثم حق الوقوف فى الشرفات.. ثم حق الخروج الى الشارع.. وفى كل خطوة من هذه الخطوات، كانت الأخطاء تقل.. والعاطفة تترقى وتتهذب.. والسعادة تدخل الى البيوت..

وكما فشلت الديكتاتورية فى توفير السعادة للشعوب والرقى بها وحمايتها من اعدائها.. فشلت المشربيات، والبراقع، وشوارب الآباء، فى حماية النساء من الأخطاء وفى توفير السعادة لهن.. وكما تكثر الاغتيالات السياسية فى عهود الضغط والارهاب.. كانت الأعراض تغتال ودماء القلوب تسفك فى عصور المشربيات والبراقع.

وانا لا احدثك مجرد حديث نظرى، انما أحدثك عن تجربة.. فلا تزال أقل البنات حرية فى يومنا هذا هن أقرب البنات الى السقوط وأقربهن الى الخطيئة والعذاب.. ولا تسأليني عن تجاربي.. لا تكونى ملحاحة كعادتك وتطالبيني بالتفصيل.. فقط صدقيني، كما تعودت دائما..

ورغم ذلك فأنا لم اترك لك الحرية دون أن أزودك بأسلحتها..

ان الانسان الحر يحتاج الى قوة، لا يحتاج اليها الانسان العبد.. قوة نفسية وذهنية.. ومنذ كنت طفلة.. وانا أحاول أن أزودك بهذه القوة..

والحرية ليست فراغا.. لا .. إن اكثر الأمكنة امتلاء بالفراغ هو السجن.. والسجين لا يتعذب بشيء قدر عذابه بالفراغ.. ولكن الحرية هي حقل بناء، حقل مزدحم بالعمل.. تحاولين فيه بناء شخصيتك، وبناء ذهنك، وتحقيق أحلامك..

وقد زودتك بكل أدوات البناء.. لتبني نفسك بنفسك!!

زودتك بالعلم، والفن.. لترى من خلالهما نفسك على حقيقتها.. لترى أنك لست وجها فحسب، ولست جسدا رشيقا فحسب، ولست ثوبا أنيقا فحسب . ولكنك روح جميلة، وعقل جميل..

وجمعت كل هذه الكتب والأسطوانات في بيتنا، لا لأقرأها واسمعها وحدي بل لتقرأوها وتسمعوها معي..

كنت أشتريها لكم حتى قبل أن تولدوا.. لأني اؤمن بأن الكتاب والأسطوانة، كالبودرة والروج تتزين بهما الفتاة وتزداد جمالا.. وكالعضلات بالنسبة للشاب يزداد بها قوة وشبابا..

وعودتك على الذهاب إلى النادي.. لا لتبحثي لنفسك هناك من عريس، بل لترى مجتمعا مختلطا، ليس لي سيطرة عليه كما اسيطر على بيتنا.. مجتمعا تقابلين فيه كل الأنواع.. النوع الراقي والنوع «الواطي».. الشريف والسافل.. حتى أعرضك من صغرك لتجارب الحياة، وأتركك تتحصنين ضدها.. كما حصنك الطبيب من مرض الجدري، بميكروب الجدري!!

واكثر من ذلك.. هل تذكرين يوم لعبت معك التنس لقد كنت

يومها متعبا، غاية فى التعب.. وكان آخر ما أحب ان اعمله هو ان ألعب التنس.. ولكنى لاحظت يومها انك فارغة.. اقصد انك لا تجدين شيئا تعملينه، إنما تتجولين فى حدائق النادى بلا هدف وتبحثين عن أى شىء. حتى.. لو كان شيئا مرا.. وقد كنت انت فى الحادية عشرة من عمرك، ولم أكن أخشى عليك من عواطفك.. أو - بصراحة - لم أكن أخشى أن تخطئى الطريق نحو شاب . ولكنى كنت أخشى عليك ما هو أخطر من الشبان . كنت أخشى عليك من أفظع خطيئة تعترض حياة الانسان وتجره الى باقى الخطايا.. كنت أخشى عليك من الفراغ.. الفراغ.. انهما كلمة تفزعنى كلما تصورتك متصفة بها.. فقمت سريعا، ورغم تعبى، ودعوتك الى لعب التنس.. وجعلتك بعد ذلك تهوين التنس، والفولى بول، والكروكيه والباسكت بول.. فقد كانت الرياضة سلاحا آخر أزودك به ليعينك على الحرية.. سلاحا تقتلين به ما قد يتبقى بعد أوقات العلم والفن، من فراغ..

وبعد ذلك.. بعد أن زودتك بأدوات البناء كان دورى فى تربيتك مقصورا على أن أراقبك من بعيد وأنت تبنين نفسك.. ولم أكن أساعدك فى عملية البناء إلا بهذا القدر الضئيل الذى يبدو فى كلمات أو تعليقات أقولها لك دون أن ألبسها ثوب النصيحة أو الأمر.. ولم يكن يهمنى فى مراقبتى لك، مدى ما تحققينه من نجاح.. إنما كان يهمنى مدى ما تبذلينه من جهد فى تحقيق النجاح.. كان يهمنى أن أراك دائما تحاولين..

ولم يكن يهمنى أن تنجحى فى امتحانات المدرسة، بقدر ما كان يهمنى أن أراك تنجحين فى تكوين شخصيتك.. وأنا أعرف أناسا كثيرين نجحوا فى المدرسة، وكانوا الأوائل فى الامتحان،

ولكنهم فشلوا فى الحياة.. فقد كانوا يحملون شهادة، ولكنهم لا يحملون شخصية!!

كنت اريد أن أرى لك شخصية كاملة..

ـ شخصية إنسان حر. له كل الحقوق، وعليه كل الواجبات..

ونحن نقول إن المرأة نصف الرجل... ثم نحاول أن نرضى المرأة فتقول إنها النصف الحلو.. ولكنى لم اكن أريد أن أراك «نصفا».. كنت أريد أن أراك «واحدا صحيحا».. فإذا اخترت رجلك.. أصبحت «واحدا بجانب واحد»، لا «نصفا من واحد».. واذا سمعت كلامه فلأنك اقتنعت به، لا لأنك تخضعين له.. واذا غسلت جواربه فلأن هذه هى مسؤوليتك فى البيت لا لأنك غسالة ـ ولا لأنك عبدة فى خدمة السيد..

وهذا هو الحب الصحيح..

الحب الذى اتمناه لك..

الحب الذى يجمع بين شخصيتين كاملتين.. ليس أحدهما عبدا وليس احدهما سيدا. الاثنان يعيشان فى دنيا الأسياد.. على قدم المساواة.. والفرق بينهما، هو فقط فرق فى تقسيم العمل وفى التخصص لبعض شئون الحياة .

وفى سبيل مساعدتك على بناء شخصيتك.. تعمدت أن أعاملك فى البيت بنفس المقياس الذى أعامل به أخويك.. لم أفرق بينكم أبدا. ولم أعتبرك أقل منهما نضجا . ولم اعتبرك ناقصة عقلا ودينا، ولم اعتبرك أقل احتمالا.. ولم أعتبرك أقل استحقاقا للحرية منهما..

الحرية الممنوحة لكم انتم الثلاثة، هى حرية كاملة.. هى مبدأ الحرية والمبدأ لا يتجزأ.. لا أستطيع أن ازن لأخويك أقتين حرية..

ثم أزن لك ربع أقة حرية.. كل ما هنالك أن أخويك يستعملان حريتهما بطريقة معينة، وأنت تستعملينها بطريقة أخرى.. هما يعودان الى البيت فى العاشرة مساء لأنهما يجدان ما يعملانه خارج البيت حتى العاشرة، وانت تعودين فى السادسة مساء لأنك لا تجدين سببا يؤخرك عن العودة فى السادسة!

إلى هذا الحد آمنت بحريتك..

آمنت بها لأنها المجال الطبيعى لتكوين الشخصية الكاملة التى أريدها لك.

وآمنت بها لأنها المجال الطبيعى الذى يتولد فيه الحب الصحيح.. ان العبيد يخطئون كثيرا فى الوصول الى الحب.. ولكن الأحرار قلما يخطئون..وإنى أعرف فتيات كثيرات توهمن الحب هربا من السجون التى يعشن فيها.. هربا من الباب المغلق، والأب القاسى، والأوامر الصارمة، وهربا من الفراغ الذى يتعذبن به.. ثم يكتشفن – بعد فوات الوقت – انهن لم يهربن الى الحب.. بل هربن الى الخطيئة!!

ولهذا كله.. لكل هذه الأسباب .. طلبت من والدتك ألا تقيد حريتك، بعد أن سمعت بخبر اهتمامك بمدحت!

لماذا سعيت الى التعرف على عائلة مدحت؟ ولماذا دعوتهم الى البيت؟ ولماذا بذلت كل هذا المجهود لأجعل من مدحت صديقا لمحمد واحمد؟

لماذا؟

صدقينى اننى لم أبدأ بمعرفة السيد مدحت لشخصه.. وصدقينى اننى بعد ان عرفته لم اتمتع بصحبته ولا بصحبة السيد الفاضل والده.. آه من و الده.. انك لا تدرين كم اتعذب

وانا استمع الى حديثه!!

وكذلك والدتك.. انها لم تتمتع كثيرا بصحبة السيدة والدة مدحت.. وكانت تعلم عنها انها «لكاكة طويلة اللسان».. ورغم ذلك فقد سعت إليها، واستعملت ذكاءها كله لتتعرف عليها فى مناسبة طبيعية لا يبدو فيها التعمد..

ولكن حكمى وحكم والدتك على مدحت وعائلته لم يكن له وزن عندنا، ولم يكن له دخل فى الخطة التى وضعناها..

كان المهم هو حكمك أنت عليه.. ومهما تعارض حكمك مع احكامنا.. فحكمك هو النافذ.. إنه رجل لك انت لا لى ولا لأمك.. واذا كان ذوقك وحش، فهذا ليس ذنبنا..

انما كان واجبى مقصورا على ان اضمك انت ومدحت فى مجتمع سليم نظيف، حتى اساعدك على تكوين رأيك فيه.. وحتى يكون حكمك عليه حكما سليما نظيفا..

وكان هذا المجتمع الذى يضم عائلتنا وعائلة مدحت هو الأرض الطيبة التى كونتها لتلقى فيها ببذور عواطفك، ويلقى فيها هو الآخر ببذور عواطفه.. فإذا كانت البذور سليمة.. ليست مسوسة، ولا كاذبة.. نبتت فى هذه الارض الطيبة نباتا حسنا قويا.. وعشتما بها العمر كله..

ونحن فى حاجة دائما إلى المجتمع.. ليس فقط المجتمع العائلى الصغير، المجتمع العام.. مجتمع الناس كلهم..

ومهما كانت عيوب هذا المجتمع وطول لسانه، فهو يحمى الفرد.. يحميه من نفسه.. وعلى الاخص يحمى البنت من نفسها..

والحرية التى حدثتك عنها، ليست حرية الفرد فى الفرار من

المجتمع، ولكنها حرية الفرد في ان يعيش داخل المجتمع..

ومجتمعنا – للأسف – له عيوب كثيرة.. وابرز عيوبه هو انه لايمنح للفتاة حريتها، ولا يمنح للحب حريته.. فتكون النتيجة ان تهرب الفتاة والحب منه.. ان يختبئا من الناس.. وعندما تختبيء الفتاة تفقد حماية المجتمع لها.. الحماية من نفسها.. وعندما يختبيء الحب يفقد أهم عناصره.. يفقد الحرية.. يفقد النور.. وينحرف نحو الخطيئة.. والخطيئة وحدها هى التى تختبيء وتعيش فى الظلام.. ليس الحب!

ولذلك، فخير للفتاة ان تتحدى عيوب المجتمع من أن تفر منه.. ان تواجه المجتمع بحبها، من ان تختبيء مع الحب بعيدا عن المجتمع..

ولذلك ايضا، تركتك تذهبين مع مدحت الى النادى وحدكما.. وتذهبان الى السينما.. وتذهبان إلى الحفلات التى تدعيان اليها . وكان يكفينى انكما دائما امام الناس، وما دمتما امام الناس فلن ترتكبا خطيئة، بل سيقوم فى نفسيكما الاحساس بالمسئولية.. مسئوليتكما عن صيانة حبكما نظيفا طاهرا.. ومهما قال الناس عنكما، فإن الكلام سيكون أهون من ان ترتكبا إثما لا يتحدث عنه الناس..

وأنا اقول لك هذا مستعينا أيضا بتجاربى.. فإنى كصحفى اعلم ان المجتمع يتحدث قليلا عن الآثمين، ويتحدث كثيرا عن الاطهار..

ياحبيبتى:

هكذا سارت الخطة التى دبرناها حولك.. ولكن لا تظنى انى لا أعيش إلا على النظريات.. هذه التى حدثتك عنها.. فإن فى

نفسي شيئا آخر غير النظريات . في نفسي شيء آخر غير عقلي.. فيها احساس، وهو إحساس تكوّن من عدة عناصر لا استطيع أن أسيطر عليها كلها . عناصر توارثت بعضها عن ابى وجدى وجد جدى، وباقى السلالة الكريمة التى لم تكن تؤمن بنظرياتي في الحياة والحب والمجتمع..

وهذا الاحساس غالبا ما يتعارض مع النظريات.. عاطفتى تتعارض مع عقلي.. وكنت أتعذب من هذا التعارض، ومن خلال عذابى كنت أبذل مجهودا كبيرا حتى أنصر عقلى على عواطفى وإحساسى..

كنت ـ مثلا ـ أغار عليك من مدحت.. وكانت غيرتى تتجسم أمامى كأنى أخافى عليك.. رغم كل ثقتى فيك، ورغم كل ايمانى بنظرياتي، كنت أسائل نفسي. أين هي الآن ؟ هل هي معه؟ وماذا يفعلان؟ وهل.. وهل.. وهل.. عشرات الاسئلة، ثم كنت انتهى فجأة الى سؤال: هل يقبلها؟!

وعندما كنت أتصوره يقبلك، كنت أحس كأن خنجرا حادا يمزق قلبى.. وأصبر على الألم صامتا، ثم أحاول أن اتغلب عليه بتفكيرى.

لايهم أى يقبلك رجل..

هناك على الأقل رجل واحد سيقبلك..

ان القبلة حق مشروع لك..

ولكن..

المهم أن تفهمى معنى القبلة!

ان القبلة ليست مجرد لمسة بين شفتين كما يعتقد اكثر

البنات.. ليست شيئا تافها..

وربما اعتقدت البنات انها شيء تافه لأنها لاتؤدى الى نتائج جسمانية خطيرة.. لاتؤدى الى الحمل مثلا.. ولكنها رغم ذلك ليست شيئا تافها.. ان القبلة لها معنى خطير . ومعناها أنك سلمت جسدك لهذا الرجل الذى يقبلك!

لا يهم أى مكان فى جسدك تبيحينه له.. المهم أنه جسدك.. وشفتاك لا تقلان عزة وكرامة عن أى مكان آخر فى جسدك.. والشرف والعرض ليسا محصورين فى جزء محدد من هذا الجسد.. لا يمكن ان تكون ساقاك شريفتين، وذراعاك عربيدتين.. انه جسم واحد.. ومعنى واحد.. إما أنه جسم نظيف، او جسم غير نظيف.. إما شرف، أو لا شرف!

وليس معنى هذا انى احرم عليك القبلة..

لا..

كل ما أطلبه منك، هو ان تعتبرى القبلة شيئا كبيرا فى حياتك.. وان تؤمنى بأن الرجل الذى يقبلك هو الرجل الذى قررت ان تمنحيه جسدك كله.. مدى حياتك!

أريدك ان تضعى دائما امام عينيك ان القبلة ليست عاطفة محضة.. ولكنها عاطفة وجسد.. والعاطفة والجسد عندما يجتمعان، فهو الحب فى قمته.. الحب عندما يتأكد ويتخلص من الشك..

فهل تأكدت من حبك لمدحت؟

هل.. خلاص؟!

لقد انتظرت طويلا حتى أجد الجواب على هذا السؤال.

ستة شهور مرت، وأنا انتظر نتيجة نظرياتى وتجاربى،

وأخشى في كل يوم ان تنفجر انبوبة الاختبار فى وجهى ثم بدأت ألاحظ أن اهتمامك بمدحت بدأ يفتر.. ربما اكتشفت فيه اشياء لا ترضيك.. لا أدرى.. ولكن اهتمامك ظل يتمادى فى الفتور.. حتى تأكد أخيرا انه لم يعد بينكما سوى صداقة بريئة.. نفس الصداقة التى أصبحت تربطه بأخويك محمد واحمد..

ماذا خسرنا من هذه التجربة؟

لا شيء، والحمد لله..

بل إننا كسبنا.. كسبت انا إيمانا جديدا بنظرياتى فى تربية البنات، وكسبنا كلنا صداقة مدحت وعائلته، رغم انى مازلت لا أتحمل حديث ابيه..

وانى اتصور الآن ما كان يمكن ان يحدث لو انى تصرفت كما يتصرف كثير من الآباء.. لو انى قيد حريتك بمجرد ان علمت باهتمامك بمدحت، واغلقت من حولك الأبواب، وضربتك علقة.. كنت ستتوهمين أنك تنالين هذا العذاب من أجل الحب.. وتتوهمين انك تحبينه فعلاً، فتنفرين منى إليه.. ثم تكتشفين بعد فوات الاوان، انك فررت إلى الخطيئة!!..

ولكن.. الحمد لله

●●●

وبعد، يا أحب الناس إلىّ:

لقد اردت ان اكتب له اعترافا، فكتبت لك كشف حساب بنظرياتى فى الحياة.. ربما لانك الآن بلغت العمر الذى تحتاجين فيه الى نفسك، اكثر من حاجتك إلىّ.. فأردت ان اقدم لك إيمانى لعلك تقتنعين به، وتستفيدين منه فى تجاربك المقبلة..

ولا تسألينى لماذا أكتب اليك ونحن نعيش فى بيت واحد..

لماذا لم اقل لك كل هذا الكلام ونحن جلوس حول المدفأة كعادتنا كل مساء؟!

لا تسألينى.. فأنت تعلمين أنى لا اجيد الكلام.. ولا أجيد المناقشة . وأنى لا استطيع ان أركز افكارى الا فوق سن قلمى . ولعلك تعلمين أنى منذ تزوجت أمك حتى اليوم وانا اكتب لها كل شهر خطابا اقول لها فيه . كم أحبها. وانها ترد على كل شهر بخطاب تقول لى فيه كم دللتنى، وكم عبئا حملته عنى!

ما رأيك لو تبادلنا ـ أنا وأنت ـ مثل هذه الخطابات؟

على الاقل، إذا كان لك تعليق على خطابى هذا، فلا تقوليه لى، فإنى سأشغل نفسى عن حديثك بتقبيلك.. ولكن اكتبيه!

عشت لى..

حبك الأول..

إحسان عبدالقدوس

رقم الإيداع ١٤٨٨٦ / ٩٧
الترقيم الدولى

I. S. B. N

977 - 08 - 0700 - 1